الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور – الجلفة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم الفلسفة

فكرة الحداثة عند طه عبد الرحمان

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر في الفلسفة

إعداد الطالب :

- بن بشير نورالدين

إشراف الدكتور :

- زبير أحمد

السنة الجامعية :

2021/2020

مقدمة عامة :

يشهد تاريخ الغرب عموما على أن تلك التحولات التي شهدتها أوربا في العصر الحديث ، شكلت فصلا حاسما من فصول المعركة الطويلة التي خاضها الإنسان الأوربي ضد القرون الوسطى ومواريثها ، والتي انتهت بانتصار العقل على اللاهوت ، وعلى سلطة طبقة رجال الدين هذا الانتصار تحقق وتعزز بانتصار علاقات الإنتاج الرأسمالية الوليدة والصاعدة على نمط الإنتاج الإقطاعي في حلبة الاقتصاد ، وانتصار الثورة البرجوازية على الأنظمة الملكية المطلقة ، والمستبدة في حلبة السياسة هذه العوامل والظروف المتداخلة آذنت في نظام معرفي جديد يمثل رؤية فلسفية وثقافية جديدة للعالم ، أعادت بناء وصوغ الإدراك الإنساني للكون وللطبيعة والاجتماع البشري على نحو نوعي مختلف ، أنتج منظومة معرفية وثقافية واجتماعية جديدة إنها فلسفة الحداثة الناشئة من خضم العلاقات الصراعية التي حكمت الفكر الأوربي بغيره من المنظومات الثقافية والفكرية السائدة آنذاك فعلاقة الحداثة بما قبلها – أي بماضيها الثقافي والفكري – هي علاقة قطع أو قطيعة .

ومنه فالحداثة بهذا خصوصية عرف بها الفكر الغربي وتعبر عن ثورة العقل على المألوف المقلد ، وتجاوز كل ماهو قديم ، ورفض كل ما يعيق التقدم ، من أجل فرض ثقافة شاملة وعالمية فلا غرابة أن ينفذ مفهوم الحداثة إلى بيئات فكرية وثقافية مغايرة للبيئة الفكرية والثقافية التي تولد عنها ونشأ فيها ، منها البيئة الفكرية العربية الإسلامية ، إذ وجد للحداثة صداها في أدبيات الخطاب الفلسفي الغربي المعاصر، فحصلت محاولات مختلفة العدة والبواعث لتبيئة وأقلمة هذا الوافد في المجال التداولي العربي الإسلامي، رفعت لواءها نزعة متغربة ترى أن أفضل طريق لمواجهة المشروع الغربي الحديث تتمثل في استيعاب آثاره أي الأخذ بالحداثة التي صنعت بها أوروبا شوكتها وهيبتها، في مقابل هذه النزعة التغريبية هناك من المفكرين العرب من تحرز من هذا الوافد الغريب وتحفظ بشأنه، فعمل على التعاطي معه وهذا بتحليله وتتبع مساراته، والوقوف عند آثاره ونتائجه ، وبنقده وبيان محدودية وقصور آلياته، ومضاعفاته اللا أخلاقية .

ومن أولئك المفكرين العرب الذين سجلوا موقفا بارزا من الحداثة الغربية ، وقدموا إسهامات متميزة ، وهذا ما يلمسه كل مهتم بفكر طه عبد الرحمان وفي سبيل الوقوف على فكرة الحداثة عنده فإن الإشكالية التي سنحاول الإجابة عليها في هذا العمل يمكن صياغتها بالشكل التالي :

- ماهي القراءة التي قدمها طه عبد الرحمان للحداثة العربية ؟

كما يمكن إدراج تحت الإشكالية العامة الإشكاليات الفرعية التالية :

ماذا يُقصد بالحداثة ؟ وماهي جذورها التاريخية وفيما تكمن مبادئها ؟ وكيف نظر طه عبد الرحمان للحداثة الغربية ؟ وماهي الانتقادات التي وجهها لها ؟ وماهو الحل الأنسب ؟ رأيه لتأسيس حداثة بديلة ؟

بناء على هذه الإشكالية يمكن القول بأن اهتمام طه عبد الرحمان بموضوع الحداثة الغربية ، والموقف الذي اتخذه إزاءها ، يعد بحق من المشاريع الهامة في الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة والمساهمة بشكل فعال في إعادة تأسيس منجزات الفكر الغربي الإسلامي على أصول جديدة مستقلة استقلالا جوهريا عن غيرها نابعة من البيئة الفكرية الثقافية العربية الإسلامية وهذا ما أثار اهتمامي وكان من الدوافع التي دفعتني للبحث في هذا الموضوع .

أما فيما يتعلق بالمنهج الذي اعتمدت عليه في معالجة هذا الموضوع فقد استندت على المنهج التحليلي ، كونه يتناسب مع طبيعة الموضوع ، وهذا بتتبع مراحل هذه الرؤية النقدية وأسسها المنهجية والمعرفية .

وكمحاولة للإجابة على هذه الإشكالية المقدمة للبحث ، ارتأيت فهم ومعالجة الموضوع من خلال خطة البحث التي حاولت تقديمها على النحو التالي :

مقدمة : بمثابة الإطار العام الذي ترسم فيه ملامح الموضوع وهذا من خلال الإحاطة بمعالمه الكبرى . العرض من أجل التوسع في مضامين الموضوع ومحتوياته وعناصره ، وقسمناه إلى ثلاث فصول بعناوينها والعناصر التي تتفرع عنها .

الفصل الأول : بعنوان " ماهية الحداثة وتاريخها " حيث خصصنا المبحث الأول لتوضيح مفهوم الحداثة وبعض المصطلحات المتعلقة به والمبحث الثاني أدرجنا فيه الجذور التاريخية للحداثة ، وتطرقنا في المبحث الثالث إلى الأسس الفلسفية للحداثة .

أما الفصل الثاني : " فقدمناه تحت عنوان موقف طه عبد الرحمان من الحداثة الغربية حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى مفهوم الحداثة عند طه عبد الرحمان ، والمبحث الثاني الحديث عن الحداثة بين النقد والتأسيس وفي المبحث الثالث : فانحصر الحديث فيه عن البديل الأخلاقي للحداثة .

الفصل الأول

تمهيد :

لقد حظيت إشكالية الحداثة بمكانة بارزة بين جمهور الباحثين والفلاسفة بشكل مكثف وجريء وبالرغم من ذلك كله، إلا أننا نشهد ارتباكا في تحديد تعريف متفق عليه فليس من السهل الوقوف على دلالة واحدة، وذلك كون هذا المفهوم يشمل كافة مستويات الوجود الإنساني حيث يشمل الحداثة التقنية، والاقتصادية، والسياسية والفلسفية الخ... ، إضافة إلى الجدل حول سياقها التاريخي، كما أن للحداثة مبادئ تقوم عليها ومنه نطرح الإشكال التالي :

ماذا يقصد بالحداثة؟ ومتى بدأت ؟ وفيما تتجلى أسسها ؟

المبحث الأول : مفهوم الحداثة وبعض المصطلحات المتعلقة بها :

عرفت الحداثة مفاهيم عديدة ومتنوعة ما جعلت العديد من الدارسين يشكون من غموض معناها ومن تعدد مدلولاتها إذ أكدوا أنه ليس من السهل الوقوف على تعريف جامع شامل لها ولو حاولنا استجلاء مصطلح الحداثة فإننا سنجد في اللغة والاصطلاح كالتالي :

مفهوم الحداثة :

لغة :

كان في معجم لسان العرب : " الحديث نقيض القديم، والحديث نقيض القدمة حدث الشيء، يحدث حدوثا وحداثة، وأحدثه فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه[1] .". هي التغيير من أجل التغيير tid مرادفة للجديد.

أما الحداثة في معجم جميل صليبا : " الحديث يرادفه الجديد ويطلق على الصفحات التي تتضمن معنى المدح والذم، الحديث الذي يتضمن معنى المدح : صفة الرجل المتفتح الذهن لما يوافق روح العصر من الطرق، أما الذي يتضمن معنى الذم الرجل السريع التأثر المقبل على الأغراض التافهة ."[2] والحداثة تحقيق التطور لكل الإمكانات والاحتمالات من أجل أن يتمكن الفرد من التمتع بها.

أما في المعجم الوسيط : كلمة الحداثة: " الحادث ما يَحدُث وما يُحدَثٌ وضد القديم" .

والحداثة : تعني سن الشباب، ويقال : أخذ الأمر بحداثته : بأوله وابتدائه " [3] . والحداثة هي الجدة والتغيير.

---

[1] ابن منظور : لسان العرب، مج(2) ، دار الطباعة للنشر والتوزيع، بيروت د،ط ، 1955 ، ص131 .

[2] جميل صليبا : المعجم الفلسفي، مج(1) ،دار الكتاب اللبناني ، لبنان، د،ط 1982 0029، ص454 .

[3] شوقي ضيف : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر التحريرية، ط4 ، 2001، 2004 .، ص160.

أما في معجم أندريه لالاند :" Moderne انطلاقا من القرن السادس حديثا لفظ مستعمل بكثرة منذ القرن العاشر في المساحات الفلسفية أو الدينية . " [1] والحداثة دلالة على صفة التحديث بمعنى التغيير والتجديد .

أما في اللغة الفرنسية" أي لفظ الحداثة الغربية Modernité مشتقة من الجذر Mode وهي الصيغة أو الشكل أما يبتدئ به الشيء[2] ". والحداثة حدث الشيء ، أي أن الحداثة تعني كل ما هو جديد وعصري

أو بمعنى عامي للدلالة على الخفة وحب التغيير لأجل التغيير والميل إلى الاهتمام بالانطباعات الراهنة بلا حكم على الماضي وبلا تفكر فيه[3] .

مفهوم الحداثة اصطلاحا:

تعتبر كلمة حداثة بمعنى عصرنة و تحديث ، أي عملية تتضمن تحديث وتجديد ما هو قديم لذلك تستخدم في مجالات عدة لكن هذا المصطلح يبرز في المجال الثقافي والفكري والتاريخي ليدل على مرحلة التطور التي طبعت أوربا بشكل خاص في مرحلة العصور الحديثة، وعليه فمعظم الحياة الحديثة تغذت من مصادر متعددة كالاكتشافات العلمية ومكننة الصناعة التي حولت المعرفة بالعلوم إلى تكنولوجيا وهذا يخلق هيئات جديدة للبشر ويدمر القديمة ويعجل حركة الحياة ويفصل الملايين من البشر عن تاريخهم وعاداتهم المورثة منذ الأزل.[4] وهذا يعني أن الحداثة تتضمن في معناها الجديد ومجاوزة كل ما هو قديم وموروث .

إضافة إلى ذلك يتفق الغربيون على أن الحداثة هي منهج تغييري ومذهب انقلابي في المفاهيم والأفكار، يختفي تحت شعار التطور والتقدم، ويقررون أن هذا المنهج التغييري جاء نتيجة لمناهج تغييرية سبقته وهي ما يعبرون عنه بالهزات الحضارية التي غيرت وبدلت في المفاهيم والأفكار والمبادئ حتى أنتجت الحداثة بصفتها منهجا لابد منه للتقدم والتحضر كما تعني

[1] أندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت، ط2 ، 2001 ، ص822 .
[2] آلان تورين : نقد الحداثة ، أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، 1997 ، ص144 .
[3] أندريه لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص288 .
[4] مصطفى حسيبه : المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن، ط1 ، 2012، ص 179 ،ص180.

حتمية الصراع مع القديم، وبالتالي رفضه وضرورة التحول إلى فكر جديد يقوم على إنقاض القديم.[1]

كلمة الحداثة تحمل معاني وضلالا تتعلق بالشباب والجدة،" حيث امتداد هذا المصطلح يدل على مذاهب فكرية وأدبية جديدة ، يعني أول العمر ونقيض القديم فقد انطلق المصطلح في آفاق فكرية وأدبية، تمثلها حركات ومذاهب امتدت بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا وروسيا "[2] أي أن الحداثة هي الجديد من الأشياء وهي مرادفة للحديث والتغيير والتجديد .

أما الحداثة عند بولدير :" **الحضور الأبدي في الانى والمؤقت هي الجمال الموجود في الموضة التي تتغير في كل فصل من الفصول** "[3] . إذن الحداثة عنده هي الدلالة على حب التغيير والتجديد .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الحداثة عند الغرب هي ثورة على كل ما هو قديم وسائد مرادف التغيير والتجديد .

يعرفها * يورغن هابرماس **:" الحداثة ظاهرة حضارية متعددة الأشكال ، وسياقا فكريا متعدد المعاني تنقلت من كل إرادة للتحديث لأنها متحولة على الدوام تلهت وراء الجديد، وتتطابع إلى اكتشاف فضاءات جديدة وعوالم مغايرة تتخذ من القديم نقيضها لأنها أداة لأحداث قطائع "**[4] .معناه أن الحداثة ترفض القديم وتسعى إلى خلق الجديد، هي بمثابة حركة متعددة المجالات ." ، "والحداثة تجربة زمنية تتلاحق ضمنها الأبعاد الثلاثة للزمن لغاية تأسيس عالم تتحد فيه الجدليات الكبرى لهذا الوجود "[5]. أي أن الحداثة بوابة التطور والتفتح والتحرر وبها ينمو ، وبعد أن تعرضنا لمفهوم الحداثة سنتطرق الآن إلى بعض المصطلحات المتعلقة بها وهي كالتالي : التحديث، التجديد، الأصالة، الثقافة .

[1] محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي : الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية، المجلد الأول، 1414 ه، ص122

[2] عدنان علي رضا النحوي : تقويم نظرية الحداثة، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض ، ط2 ،1993 ، ص25 .

[3] آلان تورين : نقد الحداثة ، أنور مغيث ، المجلس الأعلى للثقافة، 1997 ، ص144 .

[4] محمد نور الدين آفاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، المغرب ط 2 ، 1998 ، ص120 .

[5] العربي ميلود ، تساؤلات في الحداثة ، مجلة الكلمة للد راسات والأبحاث ، العدد 85 ، السنة الحادية والعشرون، 2014 ، بيروت ، ص60 .

- **التحديث :**

في اللغة :

حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة ، فهو محدث، وحديث وكذلك استحدثه .[1] الحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمه .

واللفظ حديث نشأ في القرن التاسع عشر وأغلب الظن أن أول من استخدمه هو شاتوبريان عام 1984 م واعتبره بودلير مصطلحا جديدا عام 1850 م ولقد أشار جيلسون إلى بزوغ وعي التحديث في العصر الوسيط على أنه يعبر عن علمانية التحديث،ويعني المقياس Modus كصفة في القرن السادس وهو مردود إلى لفظ Modernus ولقد نشأ لفظ أو النموذج .[2]

اصطلاحا:

يعرف هابرماس التحديث بأنه جملة سيرورات تراكمية يشد بعضها بعضا، فهو يعني بناء تحديث الموارد وتحويلها إلى رؤوس أموال ونمو القوى الإنتاجية وزيادة إنتاجية العمل كما يشير إلى إنشاء سلطات السياسة المركزية ويشكل هويات قومية ويشير أيضا إلى نشر حقوق المشاركة السياسية وأشكال العيش المدني وعلمنة القيم والمعايير .[3]

والتحديث هو مشروع تعميمي وشمولي وكوني يقوم على توحيد نمط الحياة في مختلف الحضارات وذلك يعني أن التحديث محدد بغاية تتمثل في استيعاب معطيات الماضي وتجاوزها والتأقلم مع متطلبات الحاضر والتهيؤ لاستقبال التطورات الجديدة للحياة [4].

والتحديث Modernisation هو عملية تعديل البيئة الاجتماعية والرؤية المعرفية والأخلاقية

بحيث يخضع الواقع بأسره للقواعد والإجراءات العامة غير الشخصية ويزداد التحكم فيه [1] .

[1] محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي : الحداثة في العالم العربي، لمرجع السابق، ص123 .
[2] مراد وهبة : المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة، القاهرة، د ط ، 2007 ، ص169 .
[3] صدر الدين القبانجي : الأسس الفلسفية للحداثة، دراسة نقديم مقارنة بين الحداثة والإسلام، مرجع سابق، ص7 .
[4] فتحي التريكي، رشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت،د ط 1992 ، ص31 .

إن الحداثيين يحرصون على التمسك بشعار الحديث والتحديث ويعبرون عن ذلك بالحداثة لان هذه الأمور تعني نقيض القديم، فالتحديث لا يعني تجديد القديم أو إحياء التراث وإنما يعني ابتداء فكر جديد يناقض القديم.[2]

إذن يمكن القول أن التحديث يشكل الفصل أو القطيعة مع الماضي ويهدف إلى تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويعبر عن الاستعداد للدخول في تجارب جديدة .

- **التجديد :**

في اللغة :

وتعني في اللغة جَدَد والجدة مصدر الجديد، وأجد ثوبا واستجده، صيره جديدا والمراد بالتجديد في اللغة إعادة الشيء بعدما خلق وبلى إلى ما كان عليه أول الأمر فهو في أول أمره كان جديدا فتقادم عليه حتى بلى وخلق ثم جدد بإعادته إلى ما كان عليه .[3]

اصطلاحا:

لفظ New جديد يستعمل للدلالة على بعض المذاهب الفلسفية لربطها بمذهب سابق تحتويه من بعض الجوانب وتبدو تعابير هذه الصورة أكثر تداولا في ألمانيا منها في فرنسا.[4]

كما يربط عبد الكريم سروش مصطلح التجديد بالدين فيقول : التجديد هو إعادة فهم الدين وجوهر التجديد يتمثل في تقديم فهم جديد لظاهرة الوحي تكون متناسبة مع الصور التي يحملها الإنسان الجديد عن نفسه وعن العالم المحيط به .[5]

ويرى الحداثيون أن التجديد هو إعادة الشيء وتجديده مع المحافظة على أصوله وثوابته الأولى أي أن التغيير لا ينال جذور الشيء وإنما يعاد ويظاهر بلباس جديد ويقصد هنا بالتجديد

---

[1] أبو يعرب المرزوقي وطيب بتزيني: آفاق فلسفة عربية معاصرة، دار الفكر، دمشق، ط ، 2001 ، ص 229

[2] محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، الحداثة في العالم العربي، مرجع سابق، ص31 .

[3] المرجع نفسه ، ص 36 .

[4] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق ، ص269 .

[5] فردين قريشي : تجديد الفكر الديني في إيران، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت، ط1 ، 2008 ، ص79 - ص 83 .

التغيير غير الجذري أي سطحي لأنه يحافظ على أصل الشيء .[1] فالحداثيون يحرصون على تمييز الحداثة عن التجديد، وعلى هذا فهم يفرقون بين التجديد والحداثة ولا يعبرن بالتجديد إلا إذا قصدوا به معنى الحداثة تماما، يقول أدونيس : " فالجديد معنيان زمني وهو في ذلك آخر ما استجد وفني أي ليس فيما أتى قبله ما يماثله ."أما الحديث فذو دلالة زمنية ويعني كل ما لم يصبح عتيقا وكل جديد ذا المعنى حديث لكن ليس كل حديث جديد .[2]

- **الثقافة :**

في اللغة :

الثقافة في اللغة الفرنسية Culture واللفظ الإفرنجي مشتق من اللفظ اللاتيني Colo أي يحرث الأرض ويرعاها ويقول عنها شيشرون أنها الطبيعة الثانية وهي لا تعني فقط الزراعة وإنما تعني أيضا تربية الإنسان الذاتية، أما الثقافة الرفيعة فهي الآداب والعلوم وبعد ذلك العيادة وهي مراعاة ميول الآلهة، واللفظ العربي مأخوذ من تثقيف الرمح أي تسويته، يقال ثقف الرمح ويراد قومه ونفى عنه الاعوجاج تم تجاوز هذا المعنى وانتقل إلى معنى يتصل بالعقل والذوق .

كما وردت لدى الرومان إذ هي مشتقة من كلمة الزراعة أي العناية بالأرض ثم انتقلت إلى الإنسان عند شيشرون فقيل ثقافة النفس أي تربية النفس والعقل ثم بعد ذلك امتدت في القرن السابع عشر إلى الإنسان من حيث هو كائن حي في مجتمع ثم امتدت إلى المجال الفلسفي في القرن التاسع عشر عند فيكو الذي كان يعني بها جملة أساليب الحياة[3].

اصطلاحا :

جاءت في لسان العرب معناها الحذق يقول في مادة" ثقف." ثقف الشيء ثَقافا وثِقافا أي صار حاذقا خفيفا ومنه المثاقفة، ولا شك أن التحول الدلالي في لفظة الثقافة من معنى الحذق إلى

[1] محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي : مرجع سابق ص 37 ص38 .
[2] المرجع نفسه ، ص38 .
[3] مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص ص 229 – 230 .

معنى" جملة المعارف المكتسبة "أو جملة النتاج الفكري والفني لحضارة بعينها قد تم تحت التأثير المباشر للمثاقفة Acculturation أي التأثر بالثقافة الغربية الوافدة .[1]

ولقد وردت كلمة ثقافة كصفة استخدمها ماثيو ارنولد culture في قاموس أكسفورد ثم 1857 grouth cultural فقيل نمو كاسم 1876 ، أما في اللغة الفرنسية فكلمة ثقافة في أصلها تعني العبادة ثم أصبحت تعني عبادة الأرض، وفي قاموس الأكاديمية الفرنسية الثقافة هي الاهتمام بالفنون والروح ، ويعرف تايلور الثقافة أنها كل مركب يشمل المعرفة والإيمان والأخلاق والفن والقانون والميول الأخرى للإنسان كما يعرفها مراد وهبة في معجمه بأنها في أصلها إيديولوجيا إي رؤية مستقبلية أي وضع قادم وإذا تم تموضع الوضع القائم فإنه يتحول إلى وضع قائم وهو الثقافة ولهذا فالثقافة هي تموضع لوضع قادم . [2]

فمن خلال ما سبق نجد مفهوم الثقافة في اللسان الأجنبي أن الكلمة تنطوي في بعدها الاشتقاقي والمجازي على مدلولات الحرث والحصاد cultivar فهناك عملية كامنة في الممارسة الثقافية ذاتها، ، غايتها حصاد الوعي أو قطف ثمار التحرر والتقدم .

بهذ المعنى تصبح الثقافة ممارسة أو سياسة تنخرط قلباً وقالباً في الحقل الاجتماعي لزرع بذور المشاريع قصد حصاد ثمار النضالات الريادية، فهي تقتضي القلب والتجديد أو الحرث والتبدبد، وعليه تصبح الثقافة في هذا السياق وعاء التوعية وحقل التعبئة كما كان شائعاً في الفترات التحررية من ماركسية وليبرالية وغيرها .

ويقول ابن دريد : ثقفت الشيء حذفته وثقفته إذا ظفرت به أو الظفر بالشيء يتراءى في ممارسة السلطة على موضوع هذه السلطة [3] .

وفضلا عن ذلك قيل بأن الثقافة هي ميزة الإنسان الذي نما بالمعرفة ذوقه الأدبي وحسه النقدي وقدرته العقلية وأصبحت هذه كلها صفات ثابتة فيه، وفي علم الإنسان اتخذت لفظة ثقافة

[1] جورج طرابيشي : هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، دار الساقي، بيروت ، 2006 ، ص 95 .
[2] المرجع نفسه ، ص 230 .
[3] محمد شوقي الزين : إزاحات فكرية ، مقاربات في الحداثة والمثقف ، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ط1 ، 2008، ص ،117-118 .

معنى واسعاً جداً فأصبحت تدل على كل أمر أحدثه الإنسان الاجتماعي ولم يكن أصلا في الطبيعة الفردية الأولى بهذا المعنى يقابلون بين الطبيعة والثقافة .[1]

- **الأصالة :**

في اللغة :

في اللغة مشتقة من الأصل ويقابلها في اللغة الفرنسية كلمةOriginalité وتعني الثبات، واللفظ الإفرنجي أصيل Original مشتق من اللفظ اللاتيني Originalis ويعني الأول أو البداية وهو يوحي بأن الإنسان .

اصطلاحا :

يعرفها (هيدجر) بأنها الأفكار والعواطف الصادرة حقا عن صاحبها فكل من كان تفكيره صدى للبيئة، أو للرأي العام، وكلامه غير صادر عن ذاته، وغير متصل بالواقع، لم يكن إنسانا أصيلا.

ومن معاني **الأصالة** الجدة أو الابتداع وهو امتياز الشيء أو الشخص على غيره بصفات جديدة صادرة عنه، فالأصالة في الإنسان إبداعه، وفي الرأي جودته، وفي الأسلوب ابتكاره، وفي النسب عراقته . الإنسان المبدع هو الذي يتميز بمجاوزة ما فعله الآخرون، ويطلق أيضا على الجديد أي الذي لا يحاكي ما هو سابق .[2]

وبناءا على هذا نستنتج أن الأصالة تتضمن في معناها الإبداع ، فالأصالة تجعل الإنسان متميزا عن غيره كونه مبدع ضف إلى ذلك يعنى بالأصالة الشيء الثابت. والأصالة تعني أيضا التمسك بالأصول واستلهامها .[3]

وعليه يمكن القول أن كل هذه المفاهيم (الحداثة، التحديث، التجديد، الثقافة والأصالة) ومتداخلة ومتلازمة فيما بينها إذ لا يمكن الحديث عن الواحدة منهما في غنى عن الأخرى .

[1] عبد السلام بن عبد العالي، الغيرية والآخر، مقولات التحاور وإمكانات اللقاء ضمن المجلة الفلسفية، فضاء العقل والحرية أيس، دار الصحافة ، القبة 2007 ، العدد 2 السداسي الأول ص 38 .

[2] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق ، ص72 .

[3] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط1 ، 1991 ص 16 .

- المبحث الثاني : الجذور التاريخية للحداثة :

"لو أردنا أن نتبع جذور الحداثة لوجدناها كلها ومعظمها في تاريخ اليونان والرومان، امتد أثرها في واقع أوربا الفكري والأدبي، اختلفوا في بداياتها منه من يره أنها بدأت في السيميائيات من القرن العشرين، ساعد في ظهورها في أوربا تاريخ ممتد شارك في مختلف عصوره وأحداثه" [1] .

وهذا يعني أن هناك جدل وخلاف حول ميلاد الحداثة، وكان من أسباب هذا السجال والخلاف اختلاف مفهوم الحداثة والعصرنة وما يقصد منها" **جون اف رندل** في كتابه عن الحداثة يعيد جذور الحداثة إلى هؤلاء مجرد وجود تاريخي (Modernity) الثلاثة" كانت " و"هيغل " و" ماركس "إذ يقول :" ليست الحداثة أو شيء يوفر الستارة الخلفية للمسرح لتاريخ الأفكار ولكنها تأسيس للعلاقات الاجتماعية من خلال رأيين أو معنيين "ثم يبين رندل هذين الرأيين .[2]

فالأول مرتبط بالمؤسسات والنماذج التي يقيمها الاجتماعيون والثاني مرتبط بسلسلة تبين كيف بنيت هذه النماذج، تتطور من خلال الإصلاحات المميزة لحركة التنوير الفلسفية على أساس العقلانية والحرية .ذلك أن الحداثة حركة تاريخية تعبرعن مسار فكري بطيء، هذا الأخير قد أحدث أنساقا جديدة من التصورات على الصعيد العلمي والإبداعي، والحداثة مظهرا أساسيا للتغير من خلالها يتم ترصد مستجدات في العلوم والمعارف والحداثة أسطورة حسب ميشال دي سارتو " إن نشأة الحداثة بصفة عامة في عصور النهضة الأوربية قد تخللتها هزات عنيفة على مختلف المستويات" [3] . والحداثة مظهرا من مظاهر التطور والرقي وتعني التغيير والتجديد في مختلف أنساق العلوم .

ويقول رندل يمكن أن نفهم الحداثة على أنها عملية تجميع وتفاضل اجتماعي وثقافي تدفعها سلسلة من الأحداث والحركات وتشمل حركة التصنيع، وحركة استقلال الفن، وحركة التحول

---

[1] عدنان علي رضا النحوي، تقويم نظرية الحداثة، النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط2 ، 1993 ،ص ص 55-56 .
[2] المرجع نفسه ، ص12.
[3] فتحي التريكي : رشيدة تريكي، فاسفة الحداثة، مركز الانماء القومي بيروت، 1992 ، ص16 .

الديمقراطي "ثم يقول وهذا الفهم للحداثة يرتبط بقضية فلسفة علم الإنسان وأصله الأنتروبولوجي ومع امتداد الاتجاه العقلاني والثقافي ضم النهضة وعهد الإصلاح وعهد التنوير" [1] . وهذا يعني أن رندل يعود بجذور الحداثة إلى عهد التنوير وعهد الإصلاح قبله وعهد النهضة قبل ذلك .

كما أن هناك منظور آخر يرى بأن حركة الحداثة كديناميكية تاريخية ليست وليدة القرن الثامن عشر أو التاسع عشر في أوربا، بل أن جذورها تعود إلى القرن الخامس عشر وهو القرن الذي انطلقت فيه المغامرة الكونية الكبرى التي ارتادتها الحضارة الغربية، فالحداثة لم تحدث في سنة واحدة ولا حتى في قرن واحد بل انطلقت تدريجيا لترسخ على كافة الجبهات الاجتماعية في أوربا، ثم لتتدفق على كافة أرجاء الكرة الأرضية وذلك عبر المفاصل الكبرى الإستراتيجية الأساسية **للنهضة الأوروبية** * في إيطاليا الإصلاح الديني، الاكتشافات الجغرافية، الثورات العلمية في مختلف المجالات وخاصة مجال الفلك لكوبرنيق وغاليلو في ميدان البيولوجيا لامارك وداروين، الثورة الصناعية في انجلترا والثورة الفرنسية، الثورة الأمريكية والثورة الروسية، الثورات العلمية والصناعية المتواصلة حاليا .[2]

وفضلا عن ذلك تابع رندل فلسفة كل من كانط وهيغل وماركس ليرسم مسيرة تطور الحداثة ونموها من جذورها حيث أكد أنه كان تفكيرهم يدور حول الحرية والعقلانية حيث أقام كانط عالمين للعقل المطلق والعقل العملي الواقعي واعتمدت فلسفته التصور الذي يرى بأن معرفة الحقيقة مصدرها الفكر لا التجربة بينما اعتمد هيغل علم الوجود واعتبر أن العقل المطلق هو الله والعقل المجرد هونهاية الطبيعة .

أما ماركس فقد اعتمد علم الإنسان ليصوغ فكره صياغة تقوم على العمل وصراع الطبقات وليضع نظرياته الحداثية في النقد وليجعل الإنسان هو الإله الجديد في فكره ومنهجه[3]، وفي نفس الصدد أكد رندل على أنه حتى عصر هيغل ظل النشاط العقلي يوجه البحث من خلال فلسفتين : الذاتية وهي إقامة المعتقدات على الخبرة الذاتية وثانيا الموضوعية وهي اعتماد الموضوعية في

[1] عدنان علي رضا النحوي : تقويم نظرية الحداثة ، مرجع سابق ، ص 43 .
[2] محمد سبيلا : الحداثة وما بعد الحداثة ، دار توبقال للنشر، المغرب ط2 ، 2007 ص 63 .
* -النهضة الأوروبية :هي حركة فكرية نشأت أولا في إيطاليا في القرن الرابع عشر ميلادي تتسم بالاهتمام بالأدب والفن الكلاسيكي التقليدي والنشاط الفردي والذهني) العقلي والعلمي والفني ،ابراهيم مصطفى ابراهيم ،، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الطباعة لدينا الطباعة والنشر،الإسكندرية د ط، د س ، ص45 .
[3] أدونيس وآخرون : الحداثة في المجتمع العربي، دار بدايات ، سوريا، دط، 2008 ، ص61

البحث عن الحقيقة وطرحت العلوم الإنسانية على أنها تجسيد حقيقي للعقل ونشاطه وأخذ هذا البحث مسارين للبحث عن الحقيقة ، مسار يمضي إلى القرن العشرين ويجعل اللغة مركزاً لهذه العلوم ومساراً يعود به إلى الجذور القديمة في الوثنية اليونانية وأساطيرها وفي جميع هذه الحالات كانت النظرة بعيدة عن التصور الإيماني والتوحد لله سبحانه وتعالى .[1]

إضافة إلى ذلك يرجع جان ماري دوميناك ظهور الحداثة في التاريخ الأوربي إلى القرن الحداثة لم يبرز إلا في العام 1850 على يد شارل بودلير حيث اعتبر أول من استعمل كلمة الحياة الحديثة وقد وصف ظواهرها في شعره وفي دراساته عن الفن في الصالونات أي معارض الفن التشكيلي التي كانت تقام في أيامه وكان يدرسها بعناية ويعتبرها ظواهر جديدة أو حديثة وقد أطلق على بودلير اسم الشاعر الحديث .[2]

إلا أن بعض الباحثين يؤكدون أن مصطلح الحداثة ظهر لأول مرة في أوربا في إحدى المجالات اللاهوتية عام 1892 في رسالة الأساقفة الوعظية المسيحية الجامعة لشمال إيطاليا بدأ تعبير الحديث مرادفا لتعبير الآن في أواخر القرن السادس عشر وهو يعبر عن الفترات الزمنية التالية للعصور الوسطى والعصور القديمة وكانت الروائية حين أوستين تعرف الحديث بأنه "حالة تغيير ربما إلى الأفضل لكن معاصريها في القرن الثامن عشر استخدموا تعبيرات يحدث حداثة حداثي ليعنوا به المعاصرة لكن سرعان ما غير الحديث معناه من الآن إلى الآن مباشر"[3] و يقصد بأن الحداثة أصبحت رمزاً للحاضر الأكثر قرابة .

وهنا تم استرجاع الحداثة كعنوان لحركة ثقافية شاملة منذ العام 1950 م والحداثة في الفكر الأوربي تعرفها الموسوعة الشاملة بأنها تدل على التحضر وتتعارض مع كل ما هو تقليدي وهي بهذا المعنى ليست مفهوم اجتماعي أو سياسي أو تاريخي بل إنها تعني دولة عصرية وتقنية عصرية.

[1] عدنان علي رضا النحوي : تقويم نظرية الحداثة ، ط2 ، مرجع سابق ص44 .
[2] أدونيس وآخرون : الحداثة في المجتمع العربي، مرجع سابق ، ص63 .
[3] شاكر النابلسي : الفكر العربي في القرن العشرين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط 1، 2001 ، ص ص331 – 332 .

ومنه فليس هناك نظرية للحداثة بل هناك منطق للحداثة وايدولوجيا للحداثة وأن الحداثة هي وعي بعصر ما، وترد الموسوعة الشاملة نشوء الحداثة الأوروبية إلى عام 1789 وهو العام الذي قامت فيه الثورة الفرنسية إلا أمنها لم تأخذ معناها الكامل إلا في القرن التاسع عشر بحيث أصبحت عملية إيديولوجية واسعة، فالحداثة في بداية القرن التاسع عشر أصبحت تفكك للبنيات وتغير وحلول وسطى ومن هنا فهي مفارقة وليست جدلية وبالتالي فهي نزعة للتغيير.[1] ويقصد من هذا أن الحداثة أصبحت تدعو إلى إضفاء طوابع التغيير على كل ما هو ثابت .

ويرد مارشال برمان مفهوم الحداثة إلى اعتبارات من أهمها :

- أن الحداثة ظاهرة تفردت بها أوربا .

- أن الحداثة انبثقت عن محتوى تاريخي يتلخص في عصر النهضة .

والإصلاح الديني وانهيار الثنائية التي اتصف بها الفكر التقليدي التي كانت تخلط بين العالم الحقيقي والوهمي وهو ما عرف بالتحديث ويعتبر بعض الباحثين الغربيين أن ماركس هو أبو الحداثة الأوروبية في الفلسفة وعلم الاجتماع والاقتصاد .[2] إذ تسير الحداثة على نهج الماركسية في الثورة على المفاهيم السائدة في المجتمعات والثورة على كل ما هو قديم وأصيل وثابت من أمور العقيدة .[3]

في حين يعتبر آخرون بودلير هو أبو الحداثة الشعرية وربما رامبر أكثر حداثة من بودلير وقد يكون أول شاعر يمكن أن يطلق عليه اسم شاعر الحداثة .[4]

وهذا يعني أن مصطلح الحداثة وليد عدة ثورات وحروب، " وعلى الرغم من الاختلاف بين الكثير ممن أرخوا الحداثة الأوروبية حول بداياتها الحقيقية ، وعلى يد من كانت فإن الغالبية منهم يتفقون على أن تاريخها يبدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يد بودلير، وهذا لا

[1] شاكر النابلسي : الفكر العربي في القرن العشرين ، مرجع سابق ص 333 .
[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
[3] محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي : الحداثة في العالم العربي ، مرجع سابق ص233 .
[4] أدونيس و آخرون : الحداثة في المجتمع العربي ، مرجع سابق ص 62 .

يعني أن الحداثة قد ظهرت من فراغ ، فإن من الثابت أن الحداثة رغم تمردها وثورتها على كل شيء، حتى في الغرب، فإنها تظل افراز طبيعيا من افرازات الفكري الغربي"[1]

ومن خلال ما سبق قوله نستطيع طرح الأسئلة التالية :

- هل يمكن اعتبار القرن التاسع عشر هو مبدأ ظهور الحداثة الفلسفية وتبلورها كما يرى ذلك بعض المفكرين ؟ . أم هو القرن الثامن عشر وهو ما يسمى بعصر الأنوار كما يرى آخرون ؟ أم هو القرن السابع عشر كما ترى مجموعة ثالثة ؟ أم هو قبل ذلك بدءاً من القرن الخامس عشر والسادس عشر؟ أم أنه من غير الممكن تقديم فترة زمنية باعتبارها مبدأ لتبلور أسس الحداثة الفلسفية [2].

فالحداثة لم تنشأ في لحظة زمنية معينة وإنما ساهمت في نشأتها وبلورتها عدة لحظات أو مراحل تاريخية.ولكن مهما يكن القول في ذلك فإن ما بات واضحا لدى الباحثين أن الحداثة ترجع بجذورها إلى ديكارت و كانط في القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى وإن لم يكن ممكنا تحديد فترة زمنية لنشأة الحداثة إلا أنه من الممكن أن نلتمس جذورها التاريخية لدى كل من ديكارت وخاصة في كتابه مقال في المنهج والفيلسوف الألماني كانط في كتابه نقد العقل الخالص حيث جاءت الإشارة إلى المبدأ الأول من

مبادئ الحداثة في كتاباته وهو الذاتية .[3] بمعنى اعتبار الذات مركزا ومحورا ومرجعا لكل المعارف والحقائق والقيم [4] . وبهذا جعل الإنسان سيدا على ذاته ومالكا للعالم إذ يقول : كان من الضروري أن نطرح كل ما دخل عقلنا من معارف وشك في جميع طرق المعلم وأساليبه والأساس الذي نريد الوصول إليه هو العقل مجرداً خالصاً، ويقصد ديكارت بقوله هذا انه يجب علينا أن نختبر كل المعارف التي نتحصل عليها ونتحقق من صدقها عن طريق الشك معتمدين في ذلك على ملكة العقل .

[1] عوض بن محمد القرني : الحداثة في ميزان الاسلام ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1 ،1988 ، ص 20 .
[2] صدر الدين القبانجي : الأسس الفلسفية للحداثة ، دراسة نقديه مقارنة بين الحداثة والإسلام، مرجع سابق، ص29 .
[3] المرجع نفسه ، ص ص29 -30 .
[4] محمد سيلا وعبد السلام بن عبد العالي : ما بعد الحداثة ، دار توبقال للنشر، المغرب ط1 ، 2007م ، ص 37 .

إضافة إلى ذلك يقول" أنا أفكر إذا أنا موجود "ويعني هذا أن الفكر هو الدليل على وجود الإنسان، تلك هي حقيقة مؤكدة خرجت من ذات الفكر إذن فأنا اتخذ هذه الحقيقة معيارا لكل حقيقة فكل فكرة تعرض لي بمثل هذا الوضوح اعتبرها صادقة وبهذا يكون ديكارت أول من دعا بوضوح لاعتماد الذات باعتبارها المصدر الأول للمعرفة والحقيقة .[1] ويقصد بذلك بان الذات هي معيار ومقياس الحقيقة الحقيقية أي الصادقة التي لا يطرأ عليها شك وفضلا عن ذلك أشار ايمانويل كانط إلى أن المبدأ الثاني للحداثة الفلسفية يكمن في اعتماد العقل البشري بمعنى أن العقل هو المصدر الوحيد الذي نتحصل به على مختلف المعارف إذ يقول :" أن الفكر بذاته حاصل على شرائط المعرفة وان الأشياء تدور حوله لكي تصير موضوع إدراك ولا يدور هو حولها كما كان المعتقد من قبل، كما أن ديكارت هو الذي أسس للمبدأ الثالث من مبادئ الحداثة وهو ما سميناه مبدأ الحركة الذاتية والتطور العام في الوجود " .[2]

وانطلاقا من هذا يمكن اعتبار هذين الفيلسوفين حسب ما يراه الباحثون الحداثيون أنهما حققا قفزة نوعية في الفكر الغربي من خلال تأكيدهما على الذات والعقل، لقد دعي ديكارت أبو الفلسفة الحديثة واعتبر حدا فاصلا بين القديم والجديد في تطور الفكر الأوروبي إضافة إلى كانط الذي يشطر الفلسفة الحديثة إلى شطرين فقد أدى تفكيره إلى وجهة جديدة سيطرت على القرن التاسع عشر.[3] وبهذا يمكننا اعتبار ديكارت هو بطل الحداثة ورائدها، ففلسفة ديكارت هي تجسيد للتحول الذي ميز مطلع العصر الحديث وجعل من الذات هي المركز.

وإذا مضينا مع هذا التصور القائل بأن ديكارت وكانط هما رواد الحداثة الفلسفية فإن هناك فلاسفة آخرون ساهموا في وضع البناء الفوقي للمنهج الحداثي الفلسفي وكانت لهم جهود في تحويل الحداثة من إشارات جاءت في كلمات ديكارت وكانط إلى رسم الهيكل الكامل للمنهج الحداثي وبلا شك أن فلاسفة مثل هيغل وهايدعرو ووليام جيمس وجون ديوي و شلايرماخر.....إلخ. كانوا على رأس قائمة هؤلاء الصناع للهيكل الحداثي .[4]

[1] صدر الدين القبانجي ، الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ، ص30 .
[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
[3] المرجع نفسه ، ص31 .
[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

المبحث الثالث : الأسس الفلسفية للحداثة :

هناك ثلاث أسس فلسفية للحداثة :

الأساس الأول : ويتمثل في محورية الإنسان(الذاتية، النزعة الإنسانية)

الأساس الثاني : ويتعلق بالعقل الحسي باعتباره مصدر المعرفة العقلانية

الأساس الثالث : ويكمن في الحركة وقانون التطور العام في الوجود.

1-النزعة الإنسانية :

النزعة الإنسانية هي كل نظرية أو فلسفة تتخذ من الإنسان محوراً لتفكيرها وغايتها وقيمتها العليا ويعرفها هيدغر أكبر فلاسفة الحداثة بقوله : " هي ذلك التأويل الفلسفي للإنسان الذي يفسر ويقيم كلية الوجود انطلاقا من الإنسان وفي اتجاه الإنسان" ، بينما كتب في نص آخر " أن تلك الفلسفة التي تضع الإنسان في مركز الكون عن قصد ووعي وتعتقد من خلال تأويلات ميتافيزيقية للوجود إمكانية تحرير قدراته وتأمين حياته والاطمئنان إلى مصيره"[1] ، وعليه الإنسان أهم كائن في العالم الطبيعي ومعيار الأشياء جميعاً [2].

قد يطلق على هذا المبدأ الذاتية ويطلق عليه الفردانية كما يطلق عليه النزعة الإنسانية وفي جميع هذه التعابير إشارة إلى معنى واحد وهو يعني مركزية ومرجعية الذات الإنسانية وفاعليتها وحريتها وشفافيتها وعقلانيتها. ومن جهة ثانية فالإنسان ذاته هو العامل الفاصل في التطور والتحضر، إنه سيد قدره معتمدا قواه وإمكاناته الذاتية. [3]

وقد حاول هابرماس تفصيل ما يعنيه هذا المفهوم بشكل أوسع في أربع دلالات تبعا لهيغل :

1-الفردانية : وتعني أن الفرادة الخاصة جداً هي التي لها الحق في إعطاء قيمة لادعائها.

2-الحق في النقد : ويعني أن مبدأ العالم الحديث يتطلب تقبل الفرد فقط ما يبدو مبررا ومقنعا

[1] صدر الدين القبانجي : الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ، ص 31 .
[2] محمد سيلا وعبد السلام بن عبد العالي : الحداثة ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ، ط 3 ، 2008 ، ص 10 .
[3] محمود نسيم : فجوة الحداثة العربية ، دار الحريري للطباعة ، د م ، د ط ، ص 108 .

3-استقلالية الفعل : فمن خصائص العصور الحديثة يؤها لتقبل ما يفعله الأفراد والاستجابة له .[1]

4-الفلسفة التأملية ذاتها : فمن خصائص العصور الحديثة أن الفلسفة تدرك الفكرة التي تجتاز وعيا بذاتها .

ويرى هيغل أن مبدأ الذاتية بدلالاته المختلفة قد فرضته الأحداث التاريخية الكبرى : الإصلاح الديني، الأنوار، الثورة الفرنسية، فمع الإصلاح البروتستانتي لدى * **لوثر 3**أصبح الإيمان الديني مرتبطا بالتفكير الشخصي وكان العالم القدسي قد أصبح واقعا مرتبط بقرارنا الشخصي فهذا الإصلاح قام على التأكيد على سيادة الذات وأبرز قدرتها على التمييز والاختيار باعتباره حقا من حقوقها في حين كان الإيمان التقليدي قائما على ضرورة الإتباع والخضوع للقوة الآمرة للتراث والتقليد، كما أن الثورة الفرنسية وإعلان مبادئ حقوق الإنسان قد فرضت مبدأ حرية الاختيار بمقابل الحق التاريخي المفروض كقاعدة أساسية للدولة [2] . ويقصد من هذا أن كل هذه الأحداث أكدت على أولوية الذات ومركزيتها .هكذا أصبح مبدأ الذاتية مبدءاً محدداً في كل مجالات الفعل ومحدداً في كل أشكال الثقافة الحديثة، فالحق والأخلاق أصبحا قائمين على الإرادة الحالية الحاضرة

للإنسان، في حين أنها كانت من قبل مدونة ومملاة على الفرد كما أصبحت الذاتية أساس المعرفة العلمية التي تكشف أسرار الطبيعة بقدر ما تحرر الذات العارفة والطبيعة تصبح جملة قوانين شفافة ومعروفة من طرف الذات .[3]

أما الدكتور عبد الرزاق الداوي فقد حاول شرح مفهوم النزعة الإنسانية بأنه :

1- كل فلسفة تهتم بالإنسان وتحصنه بمكانة ممتازة في العالم وفي تطور التاريخ وفي سيرورة المعرفة وتعتبره قادرا على المبادرة وعلى الإبداع.

---

[1] صدر الدين القبانجي : الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ص41 .

***لوثر :** مصلح ديني مسيحي ألماني شهير يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي .

[2] محمد سيلا : مخاضات الحداثة ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1 ، 2008، ص23 .

[3] صدر الدين القبانجي : الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ، ص ص 41 - 42 .

2- تؤكد على أولية الوعي والإرادة في كل مشروع تأسيسي .

3- تنطلق من الذات والذاتية للبحث عن شروط تأسيس للموضوع والموضوعية .

4- تؤمن بأن المبادرات البشرية تساهم في صناعة التاريخ وان التاريخ يحقق نوعا من التقدم وأن لذلك التقدم اتجاها ومعنى مرتبطين بفعاليات وأهداف البشرية .

وعليه فالإنسان أو الذات سيكون هو المرجع النهائي لكل أشكال المعرفة كما لكل المواقف والقرارات، فالدين والأخلاق والدولة والتاريخ والحياة والفن والأدب والحق والقانون وحتى الطبيعة والكون كلها يجب أن تمر عبر الإنسان وحريته ووعيه وجهده، الأمر الذي نستطيع رسمه بما يلي :

- لا سلطة فوق الذات .

- لا سعادة الأمن خلال الذات .

- لا حقيقة الأمن خلال معرفة الذات .

وهكذا يتحول الإنسان من وجهة نظر الذاتية إلى المقدس الأوحد في الوجود فلا شيء يعلو رأيه وحريته وسلطته وقراره فهو صانع القرار بل هو صانع الحقيقة وهذا ما دعا إلى ظهور مصطلح (موت الإله) حيث عاد الإنسان نفسه يحتل موقع الإله بلا منازع .

ويقول شوبنهاور : كل هذا العالم لا يكون موضوعا إلى بالنسبة للذات ولا إدراكا إلا بالنسبة لمدرك أي لابد أن يكون تمثلا، فكل شيء ينتهي أو يمكن أن ينتهي إلى العالم يرتبط حتما بهذا الشرط شرط التوقف على الذات ولا يوجد إلا من خلال الذات، فالعالم تمثل [1]. وتحقيق الذات هو نقيض خضوع الفرد لقيم تتجاوزه . [2]

والدلالة الأكبر لمبدأ الذاتية تعلن على يد بعض فلاسفتها أن الوجود كله ما هو إلا رؤية ذاتية للإنسان فنحن لا نلمس الوجود ولا نراه، وليس هناك وجود إنما هناك تفسيراتنا وقراءاتنا للوجود

[1] صدر الدين القبانجي : الأسس الفلسفية للحداثة ، مرجع سابق ص ص 45 -46
[2] آلان تورين : نقد الحداثة ، أنور مغيث ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1997 ، ص27

أو ما يظهر على عدسة ذواتنا لا غير، يقول نيتشه :جميع الظواهر عبارة عن تأويلات ولا توجد هناك على الإطلاق أي ظاهرة في حد ذاتها، ويعني أن كل الظواهر تخضع لقراءة .

مما سبق يتضح لنا بان الحداثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمبدأ الذاتية ، بمعنى أن الذات أصبحت مقدسة وأصبحت المركز في كل مجالات المعرفة .

1- العقلانية :

الحديث عن العقلانية يجعل أذهاننا تنصرف بصورة تلقائية الى العقلانية الحديثة مع ديكارت رائد العقلانية، وترتبط العقلانية أيضاً باستثمار الآليات المنطقية الموروثة عن اليونان لفحص موضوع يخرج عن دائرة العقل مثل الإيمان والعقيدة الدينية [1].

فالحداثة هنا اهتمت بالعقل ، وعززت دوره، وأعادت الاعتبار له فأصبح العقل مصدر معرفتنا للحقائق الموجودة في العالم، بعد ما كان دوره غائباً ومهملاً في العصور الوسطى، منغمس في سلطة الكنيسة. فقد استطاعت الفلسفة الديكارتية أن تحول العقلانية الى أداة اج ا رئية تسمح للذات العاقلة . بمعرفة العالم، إعتمادا على قدرتها الذاتية [2].

فمجال الحداثة وآثارها هو مجال العقل ومتتبعاته [3] ، ومقتضى هذا المبدأ أن " لكل شيء سبب معقول" [4] ، إذ ترتبط فكرة الحداثة ارتباطا وثيقا بالعقلنة ، التخلي عن إحداها يعني رفض الأخرى[5] ، إذ أن الإنسان تحول من" متأمل "للكون ومعجب ببديع خلقه الى غاز له منقب عن أسراره فأخذ يجوب العالم، ويبحث له عن" أسبابه المعقولة "مميزا إياها عن الأسباب" غير المعقولة "إلى أن انفتحت أمامه أبوب" العلم الحديث "فصار يجد فيه ما يمده بمعرفته أسرار الموجودات، ويمنحه سلطة على الكون ويستعيض به عن ألغاز الميتافيزيقا القديمة .

[1] عز العرب لحكيم بناني : المعرفة نحو عقلانيات اجرائية ، مجلة عالم الفكر، العدد2 ، مج4 ، 2012 ، ص 57 .
[2] المرجع نفسه ، ص 62 .
[3] فتحي التريكي ، رشيدة التريكي : فلسفة الحداثة ، مركز الانماء القومي، بيروت، لبنان ، دط ، ص17 .
[4] محمد الشيخ ، ياسر الطائري : مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة ، المرجع السابق، ص13 .
[5] آلان تورين : نقد الحداثة ، أنور مغيث ، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، ص30 .

2- العدمية :

يعتبر *نيتشه أول من ذكر مبدأ العدمية ، يقصد **به " لا قيمة للقيم أي ما كان راسخا وثابتا في العصور السالفة، وحركة التنوير استبقت نيتشه إلى تقرير مبدأ العدمية غير أن جديد نيتشه هو وصفه عدمية الأزمنة الحديثة (العدمية الناقصة) ، نقصد بهذه الأخيرة لا تحفل بانهيار القيم القديمة أو تنزعج لفقدانها "**[1] ، أي أن العدمية التي يقصدها نيتشه أنه لوزالت أو انهارت القيم السابقة لا تأسفون عليها، إنما علينا السعي من جديد لنضع لأنفسنا قيما جديدة غير القيم القديمة .

"لعل أهمية القول بالعدمية تكمن في إعطاء حيز كبير للنسبية اعتبار المجتمع مصدر للقيم وفقا لفكرة أن هذا الأخير منبع القيم، أن الخير هو ما يكون نافع للمجتمع والنشر ما يؤذي سلامته وفعاليته" [2] ، والعدمية عنصر جوهري في مفهوم الحداثة، هذه الأخيرة جعلت الأساس هو المجتمع وهو مصدر القيم والحداثة لا تقوم في قيام مبدأ العدمية هذه الأخيرة شرط أساسي وضروري في بناء الحداثة. ومن خلال ما سبق نلخص أن : مبدأ الذاتية والعقلانية والعدمية هي مبادئ أساسية ونقطة انطلاق في تأسيس ونشأة الحداثة فلا يمكن تصور حداثة في غياب وخارج هذه المبادئ الثلاثة .

غير أن جديد نيتشه هو وصفه عدمية الأزمنة الحديثة بالعدمية الناقصة وهو يبرر ذلك بما لاحظ على الفلسفة الحديثة من محاولات البحث عن قيم جديدة تعوض بها القيم المنهارة، نتيجة أقول عالم الآلهة وإحساس الإنسان الحديث بالتقلب والتبدل الدائمين وفقدانه لمرجع ثابت يستند إليه وحتى يتجاوز نيتشه هذا التردد قال بالعدمية الكاملة أو النشيطة يقصد تلك العدمية التي لا تحفل بانهيار القيم القديمة أو تنزعج لفقدانها، وإنما هي تقول في مبدئها لقد انهارت القيم القديمة هذا أمر غير مأسوف عليه لنضع لأنفسنا قيماً جديدة أخرى غير القيم الميتافيزيقية .[3]

---

[1] محمد الشيخ : ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة ، مرجع سابق ص14 .

[2] فارح مسرحي : الحداثة في فكر محمد أركون، مرجع سابق، ص 4 .

*- فريدريك نيتشه : (1955 - 1844): فيلسوف ألماني كان شخصية ذو آراء متنوعة ومتعارضة على نحو مذهل إلى أن يجدوا في إسمها تبريرا لأفكارهم، قبل أن يتجاهل شبه تام خلال فترة حياته التي كان فيها سليم .

[3] المرجع نفسه الصفحة نفسها .

خلاصة :

بناءا على ما سبق يمكن القول بأن موضوع الحداثة من المواضيع المهمة والحساسة ذلك أنه مطروح يوميا بين مختلف المجتمعات وفي العالم ككل وهو يشير إلى ما هو حديث ويرفض كل ما هو تقليدي ثابت وقديم ، وعليه فالحداثة مشروع يرمي إلى تطوير المجتمعات في جميع النواحي العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ومن مبادئها الذاتية حيث أصبح الإنسان هو المركز والمحور إضافة إلى مبدأ العقلانية باعتبار العقل مصدر كل المعارف ، أما ثالث مبدأ فيطلق عليه العدمية الذي افقد القيم كل معنى كانت تحتويه .

الفصل الثاني

تمهيد :

احتلت الحداثة مكانة مهمة في الفكر العربي المعاصر، حيث شغلت هذه الأخيرة الكثير من الفلاسفة والمفكرين، ومن بين الفلاسفة نجد طه عبد الرحمن المفكر المغربي الذي كان له الدور البارز في الحداثة العربية الإسلامية والذي فتح بابا واسعا في حقل المعرفة، إذ نجد طه عبد الرحمن ينتقد الحداثة الغربية ومنجزاتها وعلى أساس هذا النقد يدعو إلى تأسيس حداثة إسلامية مبدعة لها أصولها ومبادئها نابعة ومتشعبة من الثقافة الغربية، كذلك يسعى إلى فتح آفاق جديدة في العالم العربي والدعوة إلى التغيير والتجديد والإصلاح من أجل النهوض بالأمة العربية وطه عبد الرحمن ينادي بحداثة أساسها الأخلاق، وعلى هذا الأساس نطرح الإشكال التالي : ما مفهوم الحداثة عند طه عبد الرحمن ؟ ما هي أهم المبادئ التي ترتكز عليها ؟ وما النقد الذي وجّهه للحداثة الغربية ؟ وماهو البديل الذي اقترحه في التأسيس للحداثة العربية ؟ وماهي أهم الشروط التي تقوم عليها ؟

المبحث الأول : مفهوم الحداثة عند طه عبد الرحمان و مبادئها

1- مفهوم الحداثة عند طه عبد الرحمن

عرفت الحداثة مفاهيم عديدة ومتنوعة ، فقد عرفها بعضهم بأنها حقبة تاريخية متواصلة ، ابتدأت في أقطار الغرب ، ثم انتقلت آثارها إلى العالم بأسره ، وعرفها البعض الآخر بأنها هي النهوض بأسباب العقل والتقدم والتحرر، وهناك من قال أنها ممارسة السيادات الثلاث عن طريق العلم والتقنية، السيادة على الطبيعة والسيادة على المجتمع والسيادة على الذات ، بل هناك من ذهب الى القول بأنها قطع الصلة بالتراث ، أو أنها طلب الجديد، إلى غير ذلك من التعاريف .[1] ، فهذا التشعب والتعدد الذي عرفه مفهوم الحداثة ، يدل على أن الحداثة قد حظيت بقدر كبير من الاهتمام من طرف الكثير من المفكرين. وفي ظل التعدد الذي عرفته الحداثة دعا طه عبد الرحمان الى التخلص من هذا التشييء الذي أدخلته هذه التعاريف على مفهوم الحداثة.[2]

وينطلق في ذلك من إعادة تعريف الحداثة معرفا إياها قائلا : " إن الحداثة عبارة عن نهوض الأمة كائنة ما كانت، بواجبات واحد من أزمنة التاريخ الإنساني، بما يجعلها تختص بهذا الزمن من دون غيرها، وتتحمل مسؤولية المضي به إلى غايته في تكميل الانسانية "[3] . ، إذن تتحقق الحداثة حسب طه عبد الرحمان في قيام كل أمة بجملة من الواجبات للوصول إلى أعلى درجات. ويتلخص هذا المفهوم في مسلمتين هما :

أ - التاريخ الإنساني مبناه على الارتقاء بالإنسانية إلى مراتب الكمال.

ب - أن كل زمن من الأزمنة المختلفة لهذا التاريخ يختص بواجبات محددة لتحقيق الارتقاء

ويمكن أن نصوغ التعريف الآتي : " الحداثة عبارة عن نهوض الأمة كائنة ما كانت بواجبات واحد من أزمنة التاريخ بما جعلها تختص بهذا الزمن من دون غيرها، وتتحمل مسؤولية المضي به إلى غايته في تكميل الإنسانية "[4] . وطه عبد الرحمن في مفهومه للحداثة

[1] طه عبد الرحمن : روح الحداثة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006 ، ص 23 .
[2] المصدر نفسه ، ص 24 .
[3] طه عبد الرحمان : الحداثة والمقاومة، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية ، ط1 ، ص20 .
[4] المصدر نفسه ، ص21 .

يعني بها ضرورة مراجعة الأفكار الموروثة عند الإنسان العربي والإسلامي، والتي حسبه سبب تخلفه المادي والحداثة تعني تغيير الواقع بأفكار جديدة أكثر فاعلية .

وفائدة هذا التعريف حسب طه عبد الرحمن " **أن يعمم الفعل الحداثي على جميع الأمم، نتكلم على الحداثة بصدد كل أمة قامت بواجبات زمنها بالرقي بالإنسان، على هذا الأساس تكون الأمة الإسلامية مثلا حقّقت حداثتها وهاهي أمة الغرب اليوم تحقق هي بدورها حداثتها، ناهضة بما يلزمها من واجبات زمنها.** "[1] . لذا يجب على الإنسان أن يقوم بواجبه ويبدع وذلك من أجل السعي إلى تحقيق الحداثة وبالتالي التغيير والتطوير.

إضافة إلى ذلك نجد اختلافات عديدة حول مفهوم الحداثة : " فمنهم من يقول بالنهوص بأسباب العقل والتقدم والتحرر، ومنهم من قال أنها ممارسات السيادات الثلاث عن طريق العلم والتقنية، السيادة على الطبيعة وعلى المجتمع وعلى الذات ومنهم من يقول قطع الصلة. بالتاريخ أو أنها طلب الجديد أي محو القدسية من العالم" .[2]

ويعرفها طه عبد الرحمن على أنها " **الحداثة عبارة عن امكانات متعددة وليست كما رسخ في الأذهان، إمكانا واحدا** " [3]. أي أن الحداثة متنوعة ومتعددة المجالات لا تختص في مجال واحد والغاية منها التغير والتخلي عن كل مظاهر التخلف والضعف السائد في العالم العربي وسعي إلى فتح آفاق جديدة في أوضاع العالم .

كذلك الحداثة هي " العقلنة " أو أنها " الديموقراطية " أو أنها " حقوق الإنسان " أو " قطع الصلة بالدين "أو أنها" العلمانى ".[4] فالحداثة عند طه عبد الرحمن هي الإبداع والتغير والتجديد والحداثة تحمل صفة الحضارة وتجاوز كل مظاهر التقليد إن سعت إلى إتاحة التطور والانفتاح في كل المجالات والاحتمالات وهي بمثابة ثورة تنقطع على كل قديم ساعية إلى التجديد آخذة طريقها نحو التحديث واستشراف آفاق مستقبلية ، لهذا يدعو طه عبد الرحمن إلى التخلي على القديم وهجرته والذهاب إلى الإبداع والتنوع .

[1] طه عبد الرحمان : الحداثة والمقاومة ، مصدر سابق ص 21 .
[2] طه عبد الرحمن : روح الحداثة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2006 .، ص 23 .
[3] المصدر نفسه ، ص 16
[4] المصدر نفسه ، ص 23

- مبادئ الحداثة عند طه عبد الرحمن :

يسعى طه عبد الرحمن إلى التأسيس لحداثة إسلامية مبدعة نابعة من الأصول العربية الإسلامية، والتكوين لحداثة بديلة عن الحداثة الغربية، لذا يعتبر الحداثة مبادئ ثلاثة (مبدأ النقد -مبدأ الشمول - مبدا الرشد) ولا تقوم الحداثة إلا بهذه المبادئ :

أ- مبدأ النقد :

مقتضى هذا المبدأ هو أن الأصل في الحداثة هو الانتقال من حالة الإعتقاد إلى حالة الانتقاد والمراد به " الإعتقاد "هنا هو التسليم بالشيء من غير وجود دليل عليه، ومقابله هو" الإنتقاد "فيكون حده هو " **المطالبة بالدليل على الشيءلكي يحصل التسليم به**" [1]. ويقوم مبدأ النقد هو أيضا على ركنين أساسين : أولهما، التعقيل أو(العقلنة) : المراد بالتعقيل هو إخصاع ظواهر العالم ومؤسسات المجتمع وسلوكات الإنسان وموروثات التاريخ كلها لمبادئ العقلانية (...) ويصطلح عليه طه عبد الرحمن أن التعقيل الحداثي بلغ ذروته، **"إذ عادت فيه زمام المبادرة بيد التقنية وبيد العلوم"** [2] **.** أما الركن الثاني " **:** التفصيل (التفريق) **:** المراد به التفصيل هنا نقل الشيء من صفة التجانس إلى صفة التغاير (...)وتميزت الحداثة بهذا التفصيل أو التفريق في مختلف المؤسسات وأشكال الحياة الجماعية والفردية، كالتفصيل في ميدان المعرفة بين دوائر العلم والقانون والأخلاق والفنون" [3] . وهنا طه عبد الرحمن ينتقد هذا الركن ويدعو إلى التخلي عنه من أجل التمكن من تحقيق حداثة أصيلة لا حداثة مقلدة، والمراد بمبدأ النقد أن يصبح

الباحث قادر على اتخاذ قراراته إذ يقال :" **إن الفلسفة هي ممارسة النقد** ".[4] والنقد بمنظور الدراسات العلمية المختصة عموما هو فاعلية العقل على النظر والتمحيص والحكم، سواء

[1] طه عبد الرحمن : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص26 .
[2] المصدر نفسه ، ص27 .
[3] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
[4] طه عبد الرحمن : فقه الفلسفة ، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1 ، 1995 ، ص 179 .

بإثبات والقبول أو النفي والدحض، مع تقديم شرط الدليل على قبول الأمر أو رفضه [1]. لذا يعد مبدأ النقد الأساس الأول للحداثة، فلا يمكن تصور الحداثة خارج هذا المبدأ .

ب - مبدأ الشمول:

مقتصى هذا المبدأ هو" أن الأصل في الحداثة الانتقال من حال الخصوص إلى حال الشمول، والمراد بالخصوص هنا نوعين : خصوص المجال، ذلك أن كل شيء يوجد في مجال مخصوص تحده حدود معينة، والثاني خصوص المجتمع، ذلك أن أفراد كل مجتمع مخصوص يتميزون بصفات حضارية وثقافية محددة، فيكون المراد بالشمول هو القدرة على تجاوز هاتين الخصوصيتين، خصوصية المجال وخصوصية المجتمع، والتأثير في مختلف المجالات الحياتية".[2] وهذا معناه أن الحداثة لا تنحصر في مجال معين وإنما تؤثر في كل المجالات، وينقسم هذا المبدأ إلى ركنين أساسين هما :

أ - ركن التوسع : لا تنحصر أفعال الحداثة في مجال أو مجالات بعينها، بل إنها تنتقد في كل مجالات الحياة ومستويات السلوك فتؤثر في مجالات الفكر والعلم والدين والأخلاق كما تؤثر في مجالات القانون والسياسة والإقتصاد [3]. وبالتالي وجب الخروج من هذا التوسع المقلد الذي جاءت به الحداثة الغربية .

ب - ركن التعميم : لا تبقى حبيسة المجتمع الذي نشأت فيه بل إن منتجاتها التي تكون عالية التقنية وقيمها التي تدعو بقوة إلى تحرير الإنسان ترتحل إلى ما سواه من المجتمع، أيا كانت الفروق[4]، وفي هذا المبدأ يدعو طه عبد الرحمن إلى ضرورة تجاوز هذا التعميم المقلد والذهاب إلى التعميم المبدع ويرى أن هذا التعميم محدود ولا يمكن الأخذ به، وهنا يكون التطبيق الإسلامي له مبادئ نفسها المبادئ التي انبنت عليها الحداثة الغربية لكن هذا ليس تقليدا وإنما ابتكار ، ولهذا يجب على الحداثة أن لا تنحصر في سياق معين وإنما يجب أن تكون لها تطبيقات مختلفة ومتنوعة .

[1] بوزبرة عبد السلام : طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، مرجع سابق، ص180 .
[2] طه عبد الرحمن : الحداثة والمقاومة ، مصدر سابق، ص25 .
[3] طه عبد الرحمن : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص28 .
[4] المصدر نفسه ، ص29 .

ب- مبدأ الرشد :

وهو أول مبدأ من مبادئ روح الحداثة، ويقر هذا المبدأ ان الأصل في الحداثة الانتقال من حال القصور إلى حال الرشد، والمقصود بالقصور هنا هو اختيار التبعية للغير [1]. فقد أراد طه عبد الرحمان من وراء هذا المبدأ الانتقال من حال الإتباع الى حال الإبداع ، ومن التقليد الى إحداث التجديد .

ويقوم مبدأ الرشد على ركنين أساسيين هما الاستقلال والابداع ، فحتى يتحقق الاستقلال على الانسان الراشد أن يستغني على كل وصاية فيما يحق له أن يفكر فيه، ولا يتوقف عند هذا فقط، بل يجب عليه أن يشرع لنفسه ما يجب فعله أو تركه وبالتالي يثبت ذاتيته ، أما فيما يخص الإبداع فعلى الإنسان الراشد أن يسعى إلى إبداع أفكاره وأقواله وأفعاله، ويؤسسها على قيم جديدة يبدعها من عنده أو على قيم سابقة يعيد إبداعها حتى كأنها قيم غير مسبوقة .[2]

إذن هذه المبادئ ميزت الحداثة العربية وعلى أساسها يدعوا طه عبد الرحمان إلى الإبداع والاجتهاد من أجل النهوض بالعالم العربي الإسلامي وتحقيق الرقي والتطور في جميع المجالات .

[1] طه عبد الرحمن : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص25 .
[2] المصدر نفسه ، ص ص 26-27 .

المبحث الثاني : الحداثة بين النقد والتأسيس

انطلق طه عبد الرحمان من خلال مشروعه الفكري بنقده للحضارة الغربية ويتجسد ذلك في قوله : " **أن المرء ليعجب أشد العجب من المثقفين من بني جلدتنا الذين لا يجدون مذلة ولا شفاعة ولا حتى حرجاً في تقليد الآخرين فيما استحدثوه من أنماط تفكيرهم(...) جاعلين من تقليدهم عين اجتهادهم ومن جمودهم عين إبداعهم، فحسبهم من الحداثة أن ينقلو من غيرهم الفكرة تلو العبارة**".[1] وطه عبد الرحمان يرفض التقليد وينقده، ويتخذ نقده هذا أساس لبناء الحداثة العربية الإسلامية. إذا يرى طه عبد الرحمان أن المقلدون فئتين :

أ - **مقلدة المتقدمين :** هم الذين يتعاطون إسقاط المفاهيم الإسلامية التقليدية على لمفاهيم الغربية الحديثة، كأن يسقط وا مفهوم الشورى على المفهوم الديمقراطية ، أو مفهوم الأمة على مفهوم الدولة، أو مفهوم الربا على مفهوم الفائدة (...) لكنهم يقعون من حيث لا يشعرون في ترك الوعظ المباشر، وهكذا يصيرون، على التدريج إلى رد المفاهيم المنقولة إلى المفاهيم المأصولة فينتهون بمحو خصوصية المفاهيم المنقولة"[2] ، ويقصد بهذه الفئة أنهم يقتدون بتراث غيرهم والأخذ به دون وعي ومعرفة للأسباب التي جعلت الحضارة الغربية يبدعون وهنا يصبحون في تبعية لهذه الأخيرة .

ب - مقلدة المتأخرون : فيتعاطون إسقاط المفاهيم الغربية المقولة على المفاهيم الإسلامية المأصولة كأن يسقطوا مفهوم العلمانية على مفهوم العلم بالدنيا ومفهوم القطيعة على مفهوم الجب(...) ، وهكذا يصيرون على التدريج إلى رد المفاهيم المأصولة إلى المفاهيم المنقولة فينتبهون بمحو خصوصية المفاهيم المأصولة" [3] ، أما هذه الفئة يتبعون إبداعات الغرب مباشرة دون وعي أو تحصيل للأسباب التي أدت بهم إلى إبداع ما أبدعوه .

كذلك ينقد طه عبد الرحمان مبدأ العقلانية الذي اعتبرته الحداثة الغربية أساساً لها من خلال قوله : " **إن مبدأ العقلانية التي ألتي أصفها بالتجريدية يخالف مبدأ الإيمان بالرسالة إذ**

[1] طه عبد الرحمان : بؤس الدهرانية ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1 ، 2014 ص131 .
[2] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق، ص11 .
[3] المصدر نفسه ، ص12 .

مقتضاه هو ألا تتخذ سلطاناً في حكمك على الأشياء غير العقل" [1] ، وهنا يعتبر مبدأ العقلاني مخالف لما جاء في الشريعة الإسلامية.

كما يرى أن : " الحداثة الغربية أشكالاً مختلفة، فكذلك ينبغي أن تكون للحداثة الإسلامية أشكالاً مختلفة، لذا فمقاربتنا للحداثة الإسلامية هي على الحقيقة مقاربة لواحد من الأشكال التي يجوز أن تتخذها الحداثة الإسلامية "[2] ، وبالتالي يجب أخذ كل الوسائل والآليات التي أدت بالحداثة الغربية الى تحقيق مكاسب متنوعة في شتى المجالات والسعي الى التأسيس للحداثة الإسلامية .

"والحداثة هي نهوض الأمة لواجبات زمنها"[3] ، أي لا بد من أن يختار المثقف العربي كل ما يخدمه على النهوض بهذه الأمة ولا يبقى ينقل كل ما جاء به غيره من ط ا رئف فليس شرط أن يطبق كل ما جاء به غيره ويستنسخه بل عليه أن ينتج واقعاً حداثياً خاصاً به. وطه عبد الرحمان يريد التأسيس لحداثة إسلامية أساسها الأخلاق، إذ يعتبر أن الحداثة الغربية لا تنسى على الأخلاق، إذ يقول " :فالأخلاقية هي وحدها التي تجعل أفق الإنسان مستقلاً عن أفق البهيمة، فلا مراء في أن البهيمة لا تسعى الى الصلاح في سلوكها كما تسعى الى رزقها مستعملة في ذلك عقلها، فالأخلاقية هي الأصل الذي تتفرع عليها كل صفات الإنسان من حيث هو كذلك ، والعقلانية هي التي تستحق أن تنسب إليه ، ينبغي أن تكون تابعة لهذا الأصل الأخلاقي" [4] ، إذ يرى أن الحداثة الغربية هدامة لكل القيم الإسلامية وليست بناءة، إذ يرى أن هذه الحداثة تنعدم فيها الأخلاق، لذا يريد بناء حداثة تقوم على الأخلاق وبعيدة كل البعد عن أصول الحداثة الغربية.

لهذا يدعوا طه عبد الرحمان الى تأسيس حداثة إسلامية لها أصولها ومبادئها، مبنية على قيم أخلاقية جديدة تسعى الى النهوض بالعقل العربي، لذا وقف على مجموعة من الشروط للتطبيق الإسلامي لروح الحداثة وهي :

1- اجتناب آفات التطبيق الغربي لروح الحداثة :

[1] طه عبد الرحمان : الحوار أفقاً للفكر، مصدر سابق ، ص98 .
[2] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص18 .
[3] طه عبد الرحمان : الحداثة والمقاومة ، مصدر السابق ، ص20 .
[4] طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق ، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط1 ، 2000 .، ص 14.

يرى طه عبد الرحمان أن هذا "التطبيق الغربي قد دخلت عليه آفات مختلفة جعلته يبدو وكأنه محكوم بقانون عام قد نسميه بقانون انقلاب المقصود الى ضده، ومقتضاه أن هذا التطبيق يتوصل في كثير من الحالات الى نتائج مضادة للنتائج التي كان يتوخاها أصحابه أو يتوقعونها أو يراهنون عليها "[1] ، ويقصد بهذه العبارة، أن الأخذ والتقليد من الغرب قد ينجم عنه أخطار وأضرار لم تكن في الحسبان، وكذلك ":فلا يصح أن ننقل تطبيق الأخريين لهذه الروح نظراً إلى أن المطلوب هو نقل الأصل وليس نقل النقل، والأصل هو هذه الروح وليس تطبيقها الذي هو مجرد النقل، فضلا عن أن لكل مجال تداولي مقتضياته التطبيقية الخاصة ."[2]

2- اعتبار الحداثة تطبيقا داخلياً لا تطبيقاً خارجيا :

إن الدعوى القائلة أن هناك حداثيين : " حداثة من الداخل أو باصطلاح بعضهم حداثة جوانية وحداثة من الخارج أو باصطلاح هؤلاء حداثة برانية دعوى باطلة "[3]، ويقصد بالحداثة من الداخل هي تطبيق مبادئ الحداثة الثلاثة : مبدأ النقد، مبدأ الشمول، مبدأ الرشد ، أما الحداثة من الخارج يقصد به دول الغير الغرب التطبيق الغربي لروح الحداثة. وحسب طه عبد الرحمان أن : " **التطبيق الداخلي يوجب على كل من يتعاطاه أن يرجع الى الأصل والأصل مفقود كلياً لديه، وعلى هذا فكل أمة بين خيارين اثنين : إما أن تصنع حداثتها الداخلية أو لا حداثة لها** "[3] ، أي أن الحداثة تكون من الداخل وليس من الخارج (لا توجد حداثة من الخارج) .

3- لابد من اعتبار الحداثة تطبيقيا إبداعياً لا تطبيق إتباعيا الحداثة لاتنال إلا بطريق الإبداع ، بمعنى على الحداثي أن يبدع في تحقيق أركانه السالفة للذكر، فينبغي أن يبدع في تعقيله للأشياء وتفصيلة بينها، وأن يبدع في استقلاله عن غيره بل أن يبدع في إبداعه، أما ينبغي أن يبدع في توسيع أفعاله إلى مختلف المجالات وتعميم مبدعاته على ماعداه، فليس الإبداع وجه واحد يقف عنده وإنما وجوه عدة يخير بينها "[4] ، أي أن الإبداع هو المبدأ الأول والأخير للحداثة الغربية وتجسيدها على أرض الواقع، وطه عبد الرحمان يرفض التقليد وأن الحداثة لا تكون إلا

[1] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص32
[2] المصدر نفسه ، ص 33 .
[3] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
[4] المصدر نفسه ، ص 33.

من خلال الإبداع الذي يحققه الفرد عن طريق العقل، لذا لا بد من معرفة الطرق والآليات التي تؤدي الى الإبداع، أن تكون حداثة إسلامية إبداعية وليست إتباعية لها أركانها ومبادئها الخاصة بها.

لهذا يدعوا طه عبد الرحمان إلى تأسيس لحداثة إسلامية حقة : "من أجل فتح آفاق جيدة للنظر في أوضاع العالم العربي الإسلامي والخروج من أزمنته الحالية، إذ يشبهها بأنها سقطة حضارية كبرى، وذلك بمرجعة المفاهيم ونقدها وإنشاء ما يستشكله المتفلسف العربي في معترك الحضارة المعاصرة"[1] ، لذا من خلال مشروعه يحاول تقديم مخرج لتبعية والتقليد الأعمى للحضارة الغربية، ويسعى إلى إخراج الإنسان العربي الإسلامي من غفلته وسباته وضياعه ويجعل منه إنساناً مبدع، ويدعوا الى التجديد والتغيير وعلى الإنسان أن يكون حرا مبدعاً وليس تابعاً، لذا على الإنسان أن يكون راشداً متحررا من سلطة الغير وأن يبدع أفكار جديدة عاجلاً منها مخرجاً للخروج من الأزمة التي يعيشها العالم العربي الإسلامي والحفاظ

على تراثه ، وهذا هو الطريق النهوض والقضاء على التبعية والتقليد التي تعتبر بمثابة حاجز وعائق للتأسيس الحداثة الإسلامية .

كذلك نجد طه عبد الرحمان يدعوا من خلال مشروعه الحداثي إلى طرح قيم جديدة بعيدة كل البعد على التقليد والتبعية من أجل تحقيق نهضة عربية والخروج من بؤرة التخلف والتأخر من خلال مشروع الذي قام به يسعى إلى طرح أساليب جديدة مغايرة تماما لكل ما جاءت به الحداثة الغربية، لهذا دعا إلى الابتعاد عن كل ما جاءت به هذه الأخيرة، إذ يرى أن الحداثة عبارة عن تطبيق إبداعي وليس اتباعي .

وطه عبد الرحمان يسعى إلى إنتاج حداثة إسلامية تتوافق مع الأخلاق، لهذا يجده يرفض بناء حداثة مع التقليد، والحداثة التي يريدها هي التي يكون أساسها الأخلاق، إذ تعد هذه الأخيرة ضرورية لتأسيس الحداثة الإسلامية، إذن طه عبد الرحمان يساهم في التأسيس لحداثة خاصة بالمجتمعات العربية.

[1] بوزبرة عبد السلام : مرجع سابق ، ص24

ويرى طه عبد الرحمان بضرورة درء آفات الحداثة الغربية من خلال : " **فإذا استطعنا أن نأخذ بالمبادئ الحداثية الثلاث أي : مبدأ الرشد -مبدأ النقد -مبدأ الشمول. مع دفعه الآفات بواسطة القيم الستة التي أتينا على ذكرها اليوم الأن وهي : العبودية لله والكمال والإدمان والتكامل الروحانية والجمعانية، فلا شك أننا نصير قادرين أن ننشئ نموذجاً إسلامياً للحداثة نموذجا لا يكون مجرد تطبيق جديد لروح الحداثة** " [1] ، إضافة الى ذلك أنه" يرتقي بالحداثة نفسها لأنه سوف يدفع عنها الآفات التي وقع فيها تطبيق سابق لها وبذلك تنزل الحداثة الإسلامية رتبة أعلى من التطبيق الغربي لروح الحداثة " [2] ، وهنا يقدم طه عبد الرحمان طرق لتجنب آفات الحداثة الغربية وعاكسة لها، وذلك لأجل بناء نموذج خاص للحداثة الإسلامية وتمكن من النهوض بالأمة و إخراجها من حالة الضعف والتخلف .

[1] طه عبد الرحمان : الحوار أفقاً للفكر، مصدر سابق، ص 150

[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

المبحث الثالث : البديل الأخلاقي للحداثة

1- القراءة الحداثية للنص الديني :

" هناك قراءات للقرآن الكريم قام بها مجموعة من الباحثين الذين كان لهم وزنهم الأكاديمي وتدخل هذه القراءات في باب ما أسموه القراءات الحداثية للقرآن الكريم "[1] ، لهذا تعددت قراءات القرآن حداثياً لنا وهي نوعين :

أ- القراءات التأسيسية القديمة :

" التي قام بها المتقدمون مفسرين كانوا أو فقهاء، أو متكلمين أو صوفية والأحرى القراءات التجديدية الحديثة التي قام بها المتأخرون بسلفيين إصلاحيين كانوا، أو سلفيين أصوليين أو إسلاميين علميين وخص بالذكر كل من الطنطاوي، ومصطفى محمود ومحمد شحرور، ويؤكد طه عبد الرحمان أن القراءات التراثية هي تفسيرات للقرآن الكريم(...)، أي أنها قراءات ذات صفة إيمانية"[2] ، إذ يبدي لنا طه عبد الرحمان في هذا الموقف أنه يوجد تيارين : تيار تراثي وآخر حداثي تنويري، والتراثي يرجع للتراث ويرفض الحداثة وقيمها، وتيار حداثي ينادي بالقيم التنويرية الغربية ويعلي من شأنها.

ب- القراءة الحداثية " التجديدية" :

"هي تفسير لآيات القرآن تخرج على هذه الصفة الإعتقادية وتتصف بضدها وهو الاعتقاد فالقراءات الحداثية لا تريد أن تحصل اعتقاد من الآيات القرآنية، وإنما تريد أن تمارس نقدها على هذه الآيات"[3] ، وهذه التفسيرات للآيات القرآنية تمارس التقليد التطبيق الغربي وتطبقه على القرآن، وهذا ما نتج عنه محو قيم النص القرآني . وهنا يشير" طه عبد الرحمان إلى القراءات الحداثية المقلدة "إذ تقرر أن الوجه الذي تحقق به قرا ءة القرآن حداثيتها هو أن تكون قراءة إنتقادية لا إعتقادية ، وقد وجدت بين أظهرنا محاولات لقراءة بعض الآيات القرآنية على

[1] طه عبد الرحمان : الحوار أفقاً للفكر، مصدر سابق ، ص109 .
[2] بوزبرة عبد السلام : طه عبد الرحمان ونقد الحداثة ، مصدر سابق ، ص209 .
[3] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص177 .

المقتضى الانتقادي [1] . لذا نجد طه عبد الرحمان ينقد الحداثيون المقلدون ويدعو الى الابداع وتقديم البديل الجديد والمساهمة في إعادة بناء قيم الحداثة العربية الإسلامية. أما قد بين طه عبد الرحمان ثلاث خطط يتبعها هؤلاء الباحثون :

خطة الأنسنة : " وهي محاولة إرجاع النص الإلهي إلى نص إنساني، ويتبعون في ذلك طريقة معينة تنتهي بهم الى رفع القدسية عن النص الإلاهي، أما الخطة الثانية يتبعها هؤلاء الباحثون أسميها بخطة **الأرخنة** إذ يحاولون أن يرفعوا عن النص القرآني قيمته الحكمية بحيث تفقد الأحكام قيمتها الإجرائية فضلاً عن قيمتها التشريعية، أما الخطة الثالثة "

خطة **العقلنة** : " إذ يجتهدون في رفع البعد العيني عن النص القرآني، واقصاء كل ماله دلالة على اللامحسوس واللامعقول) بالمعنى العقلي الحداثي لما حدوده"[2] ، ولهذا يؤكد طه عبد الرحمان على الاجتهاد والإبداع ويرفض نقل الوسائل النقدية الغربية وتطبيقها على القرآن.

لذا وضع طه عبد الحرمان شروط لقراءة النص القرآني حداثياً:

أنه لا دخول للمسلمين إلى الحداثة إلا بحصول قراءة جديدة للقرآن، ذلك أن القرآن كما هو معلوم هو سر وجود الأمة المسلمة وسر صنعها للتاريخ (...)، ومعيار حصول هذا التجديد هو أن تكون هذه القراءة الثانية قادرة على توريث الطاقة الإبداعية في هذا العصر [3] ، إذ يرى طه عبد الرحمان أنه عند قراءة النص القرآني قراءة حداثية علينا أن نبدع من خلال استحضار آليات جديدة تساهم في فهم النص القرآني.

يرى طه عبد الرحمان أن " : واقع الحداثة في المجتمع الغربي قام، كما هو معروف على أساس مواجهة المؤسسات الكنسية، ذلك أن هذه المؤسسات لما هو معلوم مارست وصايتها على الدين ووصاية على الروح والثقافة والسياسة جميعاً(...)، كل ذلك دعا الى العمل على تحرير الإنسان الغربي وتحرير عقله وتوجيه تاريخه بما يدفع عنه شر الحروب المقدسة"[4] ، وهنا يؤكد طه عبد الحرمان أنه رغم وجود الحروب إلا أن هذه الظروف أمكنت الحضارات الغربية

[1] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص 177 .
[2] طه عبد الرحمان : الحوار أفقاً للفكر، مصدر سابق ، ص175 .
[3] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق، ص193 .
[4] المصدر نفسه ، ص194

من الإبداع وتحقيق التطور، كما يرى أن مقتضيات الحداثة الغربية تختلف بكثير عن مقتضيات الحداثة العربية الإسلامية.

ويؤكد " طه عبد الرحمان "أن من شروط الإبداع في قراءة النص القرآني " يتضح إذن أن قراءة الآيات القرآنية لا تكون قراءة حداثية مبدعة بحق حق تستوفي شرطين إثنين : أحدهما رعاية قوة التفاعل الديني مع النص القرآني أو بعبارة أدق ترشيد التفاعل الديني، والآخر إعادة إبداع الفعل الحداثي المنقول أو قل تجديد الفعل الحداثي" [1]، أي أنه لا يمكن الأخذ بشكل مباشر الحداثة الغربية وإنما علينا أن نبدع من أجل التغيير والتجديد لا التقليد كذلك يبين طه عبد الرحمان أن : الفعل الحداثي الغربي قام على أصل التصارع مع الدين مما يجعل الإبداع الذي تجلى به هذا الفعل هو من جنس الإبداع المفصول، ويضيف الى ذلك : " أن الفعل الحداثي الإسلامي لا يقوم إلا على أصل التفاعل مع الدين، سواء في طوره النبوي الأول أو في طوره الإبداعي الثاني، بحيث يكون الإبداع الذي يتجلى به هذا الفعل هو من جنس الإبداع الموصول"[2] ، إذ يرى طه عبد الرحمن" أننا نحتاج في نهوض الإسلام الى تجديد قراءة القرآن، ولكنه تجديد ينبغي أن نبدع فيه، فتأتي من عندنا بأدوات وآليات ، يحددها تاريخنا وت راثنا، أي مجال الخاص بنا لا بوسائل تخص الغرب وحضارته وتاريخه" [3] . أي لا بد بالإبداع والتخلي على التقليد والتبعية من أجل التمكن من إعادة قراءة النص الديني قراءة حداثية مبدعة .

كذلك بين طه عبد الرحمان كيفيات الانتقال من الحداثة المقلدة الى الحداثة المبدعة ، إذ حدد شروط خاصة لكل مبدأ من مبادئ التطبيق الإسلامي لروح الحداثة، حيث نجد :

1- شروط خاصة للتطبيق الإسلامي لمبدأ الرشد : يتكون هذا المبدأ حسب" طه عبد الرحمان "الى ركنين أساسيين : ركن الاستقلال وركن الإبداع، إذ وضح" طه عبد الحمان "من خلال هذا المبدأ كيفية الانتقال من الاستقلال المقلد الى الاستقلال المبدع، ويرى بضرورة التخلي عن كل المبادئ والمسلمات التي يقوم عليها التطبيق الغربي والتي تندرج تحت ما يلي :

[1] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص195

[2] المصدر نفسه ، ص195 .

[3] طه عبد الرحمان : الحوار أفقاً للفكر، مصدر سابق، ص172 .

- وصاية الأقوى الخارجي عناية بالأضعف :أن هذه المسلمة مناقضة لروح الحداثة، فوصاية الأقوى تظل وصاية، فما بالك بوصاية الأقوى الخارجي، وكل وصاية، بموجب هذه الروح تحجب عن التفكير كما يحجب عنه عنف السلطة .

- الوصاية الداخلية هي وصاية رجال الدين : تعد باطلة، ذلك لأن الوصاية الداخلية في المجتمع المسلم لم يمارسها رجال الدين أو قل الفقهاء .

- الحداثة هي الاستقلال عن الوصاية الداخلية : باطلة هي الأخرى، فلما انتفى بين المسلمين وجود وصاية داخلية يتولاها رجال الدين، بطل أن يتم دخولهم في الحداثة [1] ، أي أن المسلمين لم يبدعوا في هذا الاستقلال ولم يحققوا إستقلالهم ولهذا نجد طه عبد الرحمان يسعى الى الابتعاد كل البعد عن المسلمات التي بنيت عليها الحداثة الغربية (التطبيق الغربي) ، لركن الإبداع فيتخلون عن الآفات المترتبة عليها وهي :

- **أبدع الإبداعات ماكان إنفصالاً مطلقاً : "** باطلة ذلك الانفصال المطلق عن كل الأفكار الموروثة والمنقولة قديما وحديثاً، ويستحيل تحقيقه علمياً "[2]. "فلا ينبغي أن يقدر الإبداع بقدرته .على الانفصال، وإنما بقدرته على الارتقاء بالإنسان".[3]

- أن الإبداع يخترع الحاجة كما أنه يشبعها : " فهي الأخرى مردودة متى بقيت على إطلاقها ذلك أن الإبداع يكون محموداً ومرغوباً فيه لو أنه ينشئ الحاجة في مجال المعنويات والروحانيات، فبغنى الأذواق الجمالية والمدارك الفنية ويزيد في رقتها وشقوقها(...) ، ومثل . هذا الإبداع لا يكون إلا مذموماً لأنه زيادة" .[4]

- أن أصدق الإبداعات ما بلغ فيه إزدهار الذات نهايته" :فهي الأخرى تعد مردودة، ما لم يَجْرِ تقييدها، ذلك أن ازدهار الذات متى كان قيمة تتجلى في إبداع متواصل الحياة الخاصة ى ا رعي المطالب الأخلاقية للتعامل مع الآخرين ويحفظ الإلتزامات المعنوية المترتبة على الوجود

[1] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق، ص ص 34-35
[2] طه عبد الرحمان : الحداثة والمقاومة ، مصدر سابق، ص 38
[3] طه عبد الرحمان : روح الحداثة، مصدر سابق، ص39
[4] المصدر نفسه ، ص 40

معهم(...) أما إذا صار هذا الإزدهار عبارة عن بحث الذات المتواصل عن إشباع . رغباتها الخاصة (...) لا تحركها إلا روح الأنانية والإنكفاء عن نفسها ".[1]

2- الشروط الخاصة للتطبيق الإسلامي لمبدأ النقد :

إذ قسم" طه عبد الرحمان "هذا المبدأ الى قسمين :التعقيل(العقلنة) والتفصيل، ويرى في هذا المبدأ كيفية الإنتقال من التعقيل المقلد الى التعقيل المبدع ، إذ يدعوا طه عبد الرحمان الى تجاوز هذه الآفة من خلال :

- **أن العقل يعقل كل شيء** : هي أرسخ مسلمة في التطبيق الغربي لروح الحداثة ، وليس من الضروري أن يكون لها نفس الرسوخ في تطبيق آخر لهذه الروح، لأن هذه الروح لا تقتضي إلا باستخدام العقل (...) وبيان ذلك من وجهين :أحداهما أن العقل لا يمكن أن يعقل ذاته ولو أنه هو أيضاً شيء من الأشياء، والوجه الثاني :أن العقل لا يمكن أن يعقل الكل، ولو أنه هو كذلك شيء من الأشياء بل هو أكبر شيء ممكن [2] ، أي الأول يتطلب عقل أكبر منه يفهمه، أما العقل الآخر على الإنسان أن يقوم بممارسته .

- **أن الإنسان يسود الطبيعة** " : فالحقيقة أن سيد الشيء إنما هو مالكه، والإنسان لا يملك الطبيعة، فلم يخلقها بيده ولا بأمره، بل سخرت له تسخى ا رً، وحتى كما اكتشفت بعض قوانينها واستخدام هذه القوانين لتحقيق أغراضه ، بقي لا يملك مآلات اكتشافه ، ولا نتائج استخدامه و لوكان الإنسان يملك حقاً الطبيعة، لكانت تطيعه كما يطيع العبد سيده "[3] ، ونجد طه عبد الرحمان يرفضها.

- **كل شيء يقبل النقد**: " إذ تنبني هي نفسها، على افت ا رضيين كلاهما باطل : أحدهما أن النقد هو الطريق الوحيد الذي يوصل إلى الحق في كل شيء، والصواب أن طرق المعرفة لا تنحصر في النقد (...) أما الافتراض الثاني أن كل الأشياء ظواهر، بحيث يمكن إجراء النقد

[1] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص 41.
[2] المصدر نفسه ، ص 43 .
[3] المصدر نفسه ، ص 44 .

عليها، (...) لهذا فأن الطريق الإسلامي في التعقيل الحداثي يأخذ بها نسميه النقد المتنوع وليس بالنقد ذي الوجه الواحد الذي طغى في التطبيق الغربي" [1] ، وهنا يدعو طه عبد الحرمان بضرورة التنويع في النقد، عكس التطبيق الغربي الذي إعتمد نقد ذو وجه واحد فقط لذا علينا أن نسير في طريق مختلف ومتنوع .

كذلك يوضح طه عبد الرحمان كيفية الإنتقال من التفصيل المقلد المبدع : لا بد من الابتعاد عن آفات ركن التفصيل المقلد، وذلك من خلال الأخذ بالمسامات الآتية :

- الفصل بين الحداثة والدين فصل مطلق : تبطل هذه المسلمة أي الفصل بين الحداثة والدين، فصل مطلق من وجوه عدة :

أولا : الخلط بين الكنيسة والدين، ذلك أن الانفصال جرى بين الحداثة ومؤسسة الإكليروس بوصفها سلطة سياسية، لا بوصفها سلطة دينية .

ثانياً : الاعتقاد بظهور الحداثة دفعة واحدة، الحق أن الحداثة سيرورة فكرية طويلة.

ثالثاَ : توسل الحداثة بمفاهيم دينية صريحة، لم يجد الخطاب الحداثي بدأً من استعمال مفاهيم مأخوذة من جانب ديني.

- الفصل بين العقل والدين فصل مطلق : تبطل مسلمة هذا التفصيل، الفصل بين العقل والدين وصل مطلق، نظرا الى أنها تحص الدين في اللامعقول، الحجة أنه معتقدات عبثية أو أسطورية . [2] - أن التفصيل يقترن بمحو القدسية : تبطل هذه المسلمة لأنها تنبني على افتراض باطل حيثما وجدت القدسية فثمة سحر، ذلك أن القدسية صفة تعظيم تنسب لكل شيء يتعالى على العالم ويتنزه عن مشابهته، في حين أن السحر صفة تعظيم تنسب رحل في العالم [3] ، هذه المسلمات تساعد في الإنتقال من ذلك التقليد الى عملية الإبداع، وبهذا نكون منفردين عن كل آفات التطبيق الغربي .

[1] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص45 ص 46 .
[2] المصدر نفسه ، ص51 .
[3] المصدر نفسه ، ص52 .

الشروط الخاصة للتطبيق لمبدأ الشمول :

وفي هذا المبدأ نجده ينقسم هو أيضا الى نوعين :التوسع والتعميم، لذلك يوضح لنا" طه عبد الرحمان "كيفية الانتقال من التوسع المقلد الى التوسيع المبدع ، إذ يقول طه عبد الرحمان :" **أن التعقل هو التحفظ في اصطناع كل تقنية ممكنة، والتَصَوُنُ من الإكثار من هذه الوسائل دفعاً لسوء العواقب"**[1] ، إذ يدعونا طه عبد الرحمان إلى ضرورة درء كل الآفات التي استند عليها التطبيق الغربي وذلك من خلال :

أ -**الحداثة واقع حتمي** : الغرب أضحو يعتقدون أن الحداثة قدر محتوم لا حول للإنسان معه وذلك لأنها في أ - ريهم عامة ومعقدة لا سبيل إلى تفاديها، لا في إيجابياتها ولا في سلبياتها، لأن العالم لا يمكن أن يحيى بغير حداثة(...) ، فكما أن الإنسان حرك واقع الحداثة، حتى غدا مسلسلاً من التطورات يتبع قوانين موضوعية تبدو مستقلة عن إرادته . فكذلك بإمكانه بواسطة مهنته أن يزحزح ولو قليلاً هذا المسلسل عن مساره .[2]

ب- الحداثة ث ورة القوة الشاملة : فلا تصح بإطلاق، إذ أن الحداثة الغربية أي الواقع الحداثي بمنجزاتها الهائلة في مجال العلم والتقنية، لم تورث أهلها إلا القوة الشاملة في مجال المادة، جاعلة طالبهم للزيادة في المعرفة لا ينفك عن طلبهم للزيادة في الهيمنة المادية" [3] .

إذن الدخول في الحداثة يتطلب قطع الصلة بكل ما هو قديم وضرورة التحرر في عملية الإبداع، لذلك يوضح طه عبد الرحمان "كيفية الانتقال من التعميم المقلد الى التعميم المبدع وذلك يتم من خلال" إذ يبين حال التعميم المقلد التي يكابدها المسلمون ويتحتم أن يخرجوا منها بدرء الآفات التي أساءت إلى التطبيق الغربي لركن التعميم فلنبطل المسلمات التي استند إليها هذا التطبيق والتي جلبت له هذه الآفات وهي : الحداثة تثبت الفكر والفرداني - العلمانية تحفظ لجميع الأديان حرمتها - قيم الحداثة قيم كونية [4] ، وسنقدم شرح باختصار لهذه الآفات :

[1] طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق ، مصدر سابق، ص132 .
[2] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق، ص57 .
[3] المصدر نفسه ، ص 58 .
[4] المصدر نفسه ، ص61 .

أ - الحداثة تثبت الفكر الفرداني : أن الفرد هو الذي يقرر مصيره بنفسه ، بل يضع حياته بيه، محتملاً مسؤولية أفعاله .

ب - العلمانية تفظ لجميع الأديان حرمتها :فلا يخفي أن بعضهم عرف الحداثة الغربية في واقعها بكونها العلمانية واختلفوا في تحديد خواصها .

ج - قيم الحداثة قيم كونية: " أن أهل التطبيق الغربي يؤكدون أن القيم التي إنتزعوها بنضالهم هي قيم كونية تجري على العقول والشعوب قاطبة" [1]، ومقتضاها أن الشيء متى أبدع في مجتمع فلا يعاد إبداعه في مجتمع غيره، وإنما يؤخذ على وجهه الأصل، وقد يجمد في سياقه الجديد" .[2]

وفي الأخير يمكن القول أنه من خلال الشروط التي وضعها" طه عبد الرحمان " يمكن التأسيس لحداثة مبدعة وأصيلة، بعيدة عن كل منجزات الحداثة الغربية، وتمكن العالم العربي من الخروج من دائرة التقليد والتبعية، لهذا يسعى" طه عبد الرحمان الى هدم كل المفاسد التي جاءت بها الحداثة الغربية وذلك من خلال وضعه لهذه الشروط التي تتماشى مع طبيعة ومسار الحضارة الغربية .

1- قراءة التراث حداثيا وآلياته :

كذلك نجد مسألة التراث مسألة هامة عند طه عبد الرحمان : إذ يعد من أهم الداعين إلى ضرورة الأخذ بالتراث ، ويصر من خلال ذكرنا للقراءات الحداثية للنص الديني وأهم الشروط التي تقوم عليها ، نلجأ أيضا إلى مسألة التراث عند طه عبد الرحمان والآليات التي تندرج تحتها، إذ تعد مسألة التراث مسألة هامة عنده ، كونه ينادي بالنظرة التكاملية معه وضرورة إحياءه وتجديده و إعادة الاعتبار لجوانب التراث ومن خلال القراءة الجديدة للتراث طرح طه عبد الرحمان أربع قواعد هامة تقوم عليها لممارسة هذه القراءة :

- **أولها: "** أنه ينبغي للقراءة أن تعتني بآليات النص التراث على الأقل ، اعتناءها بمضامينه وأن تتوسل بهذه الآليات في فهم هذه المضامين، والسبب الموجوب لذلك هو أن التراث

[1] طه عبد الرحمان : روح الحداثة ، مصدر سابق ، ص63
[2] المصدر نفسه ، ص66

الإسلامي العربي متشبع بهذه الآليات على قدر كبير ، ولاسيما اللغوية منها والمنطقية "[1]. وذلك أنه يجب الاهتمام بكل الآليات التي تنتج النص التراثي من أجل فهم كل قواعد هذا التراث .

- **ثانيها:** " أنه ينبغي اعتماد المستجدات في باب المناهج ، لا في طمر هذه الآليات التراثية أو طمس معالمها، وإنما في استخراجها وتحديث إجرائيتها ، كما لا ينبغي الاكتفاء بتجريد الآليات من التراث من دون التزود بهذه المستجدات المنهجية ، لأن هذا التجريد لن يزيد عن اجترار القديم على وجهه القديم، ومثل هذا القديم المزدوج لا يخرج منه أبدا جديد"[2] ، أي أنه يجب تحديث إجرائيات التراث ، واعتماد آليات والأخذ بالمستجدات المنهجية التي تساعدها لإنتاج الجديد.

- **ثالثها:** أنه ينبغي إجراء النقد والتمحيص الكافيين لكل آلية مقتبسة من تراث أجنبي قبل تن زيلها على التراث الإسلامي العربي، حتى تتبين كفايتها الوصفية أو التفسيرية ، فالنسبة إلى آلية العقلانية مثلا، لا يمكن أن نحكم هل في هذا التراث عقلانية، حتى تتأكد ما إذا كان مفهومها المأخوذ عن الثقافة الغربية صالحا لأن تقوم بها بتراثنا ، والحقيقة التي توصلت إليها أن هذا المفهوم لا يصلح لهذا التقويم، لأن العقلانية الغربية مبنية أساسا على التجريد النظري ، بينما العقلانية التي تحكم تراثنا مبنية على التسديد بالعمل[3] . وهنا يقر بوجوب وضرورة النقد للآليات التي يقوم عليها التراث الأجنبي ، لكن يتمكن من هذا النقد على تطبيقها على التراث الإسلامي ، وهذا ما قدم عليه مثال حول الآلية العقلانية الغربية على أنها تختلف تماما على الآلية العقلانية التي يقوم عليها التراث العربي .

- **رابعها :** " أنه ينبغي أن لا يتخذ تنقيح – أو تلقيح – الآليات اتجاها واحدا، فتنقح أو تلقح – الآليات العربية الإسلامية (...) لأن من شأن هذا التنقيح – أو التلقيح – المزدوج أن يفتح طريق الإبداع للمفكر العربي ، إذ يجعله من جهة يخصب الآليات الأصلية ويبعث فيها الحياة، ومن

[1] طه عبد الرحمان : حوارات من أجل المستقبل ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت ، ط1 ، 2011 ، ص 20
[2] المصدر نفسه ، ص 21 .
[3] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

جهة ثانية ، يفتح في الآليات الحديثة آفاقا لم تخطر على بال واضعيها" [1] . أي أن طه عبد الرحمان يعتبر هذا التنقيح المزدوج يحمل فوائد للمفكر العربي ما يفتح أمامه مجال الإبداع.

إذن هذه هي أربع قواعد التي اعتمدها طه عبد الرحمان في قراءته للتراث ويرى أن هذه القواعد تفتح طريق الإبداع العربي ويتم ذلك من خلال تجديد الآليات المنتجة للنص التراثي - لذا يدعو إلى ضرورة تجديده وهو لم ينقل آليات التراث الأجنبي بل يجب التمحيص والنقد أولا ثم نسقطها على التراث العربي الإسلامي ، فلا يصح أن ننزل على تراثنا العربي أدوات وآليات أخذناها من تراث غيرنا .

وعلى هذا يميز طه عبد الرحمان بين " روح الحداثة " وبين " الحداثة الغربية" بوصفها أحد تجلياتها الواقعية أو التاريخية أو الخلقية ، فطه عبد الرحمان يرفض أن تكون الحداثة خاصة بالغرب فحسب، بل إنها تتعداها الى حداثات أخرى ممكنة قد تكون الحداثة الاسلامية واحدة منها .[2] وبما أن الحداثة مفهوم ليس من إبداعنا ، فينبغي أن نعيد ابداعه كما لو أنه إبداعا من عندنا ، وهذا هو الإبداع المطلوب ، فإن لم نكن قادرين على إبداع المفاهيم ، فيجب أن نكون قادرين على إعادة انتاجها وتلك هي مؤشرات الأمة القادرة على النهوض والبقاء والاستمرارية الفاعلة والمؤثرة [3].

[1] طه عبد الرحمان : حوارات من أجل المستقبل ، مصدر سابق ، ص 22.
[2] المصدر نفسه ، ص22 ص23
[3] بن سعيد محمد : الحداثة وسؤال الأخلاق في المدونة الفكرية لطه عبد الرحمان، العدد 15 ، جانفي، 2016 ، ص40

إستنتاج :

نستنتج أنه من خلال معالجتنا لمسألة الحداثة عند طه عبد الرحمان نجده يسعى إلى التأسيس لحداثة إسلامية مبدعة وأصيلة تقوم على الأساس الأخلاقي مميزة بروحها وأصولها ، إذ يعد مشروعه نقدي وهو ينقد التبعية والتقليد للحضارة الغربية ، لذا يعتبر هذه الأخيرة هدامة وليست بناءة ، كذلك ينادي طه عبد الرحمان **بضرورة** الاجتهاد والإبداع والمساهمة في تحقيق الحداثة العربية الإسلامية **نابعة** من الثقافة العربية ، حداثة تستقل برؤيتها ومجالها الخاص بها والخروج من **بؤرة التخلف والضعف الذي يعانيه العالم العربي ، لهذا يدعوا إلى روح واعية وراشدة ، مستقلة عن الحداثة الغربية .**

الخاتمة

الخاتمة :

وفي الأخير نستنتج أن الحداثة اتخذت حيزا كبيرا في الفكر العربي نتيجة التخلف والتقهقر الذي يشهده في شتى المجالات والميادين سعيا منها الى ايجاد حل واللحاق بالركب، فتعددت المفاهيم والأفكار ، فهناك من رأى أن **الحاجة** تتطلب المضي قدما والأخذ بالحداثة الغربية لما حققته من تطور في المجال العلمي والتقني ، والبعض الآخر يرى في الحداثة رغم نجاعتها بأنها **هدامة للقيم والأخلاق** ويقدمون أفكار إسلامية بديلة من شأنها أن تساهم في تطوير المجتمع العربي والإسلامي ، والمفكر طه عبد الرحمان ككثير من المفكرين الذين استلهمتهم الحداثة لكن هذا الأخير مارس عليها النقد وجعلها إمكانات متعددة وليست واحدة ولم يتقبلها كما هي ، كما يرى أننا **لسنا مضطرين الى أن نسلك نفس السبيل لكي نحقق ما حققه الغرب** وما يصلح لهم لا يصلح لنا ولا ينبغي أن نكون مقلدين ومستنسخين ، ومن خلال ما سبق وتناولنا في بحثنا كان طه عبد الرحمان من ابرز الفلاسفة والمفكرين الذين تناولوا هذه الإشكالية بالنقد ليؤسس لمشروع حداثي إبداعي يشجع على الإبداع في صياغ عربي إسلامي ، ويمكن تلخيص أهم أفكاره إن لم نقل نتائج ما توصلنا إليه في نقاط :

_ مصطلح الحداثة ظهر نتيجة نقاشات واختلافات شغلت المفكرين والمصلحين من مختلف المذاهب .

_ يهدف مصطلح الحداثة إلى التغيير والإصلاح وهو مصطلح غربي .الغرب أول من استخدم هذا المفهوم يهدف للقضاء على التخلف والتأخر السائد في العالم العربي الإسلامي يوحي إلى التغيير والتجديد واللحاق بالركب الحضاري .

_ فالحداثة عند طه عبد الرحمان هي النهوض والسعي بأسباب العقل والتقدم والتحرر ، هذه الأخيرة الغرض منها التطوير والتغيير والنهوض بالعالم العربي الإسلامي ، داعيا إلى التحرر من كل القيود التي تكبل المثقف العربي والتخلي على سلطة الآخر ، ويكون الإنسان واعيا قادرا على الإبداع ، ويسعى الإنسان الراشد أن يبدع أفكاره وأفعاله على قيم جديدة نابعة من إرادته الخاصة ، والإبداع خطوة ضرورية في تحقيق حداثة إسلامية نابعة من الثقافة العربية الإسلامية **، وإذا غاب الإبداع حل محله التقليد والتبعية والخضوع للآخر** وطه عبد الرحمان من أشد الرافضين للحداثة الغربية ، لهذا يدعو إلى عدم الأخذ بها هدفه تحقيق نهضة وتجسيد **حداثة عربية إسلامية** .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

1- طه عبد الرحمان : الحوار أفق للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1 ، 2003 .

2- طه عبد الرحمان : بؤس الدهرانية ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1 ، 2014.

3- طه عبد الرحمان : حوارات من أجل المستقبل ، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، ط1 ، 2011 .

4- طه عبد الرحمان : سؤال الأخلاق ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ، 2000 .

5- طه عبد الرحمن : الحداثة والمقاومة ، معهد المعارف الحكيمة، ط1 ، 2007 .

6- طه عبد الرحمن : روح الحداثة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط 1، 2006

ثانيا : المراجع

1- أدونيس وآخرون : الحداثة في المجتمع العربي ، دار بدايات ، سوريا ، د ط ، 2008 .

2- آلان تورين : نقد الحداثة ، ت أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة ، 1997 .

3- جورج طرابيشي – هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية – دار الساقي، بيروت ط1 ، 2006 .

4- شاكر النابلسي – الفكر العربي في القرن العشرين -المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 ، 2001.

5- صدر الدين القبانجي :الأسس الفلسفية للحداثة ، د راسة نقدية مقارنة بين الحداثة والإسلام، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت لبنان ، 2001 .

6- عدنان علي رضا النحوي : تقويم نظرية الحداثة، دار النحو للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض ط1 ، 1992 .

7- فتحي التريكي ، رشيدة التريكي : فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي، بيروت، دط ، 1992 .

8- فردين قريشي : تجديد الفكر الديني في إيران ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ط1 ، 2008.

9- محمد الشيخ : ياسر الطائري، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، والطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1996 .

10- محمد الشيخ : جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط1 ،2005.

11- محمد الشيخ : فلسفة الحداثة في فكر هيغل ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط 1، 2008 .

12- محمد الشيخ ، ياسر الطائري : مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة -دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ط1 ، 1996.

13- محمد سبيلا وعبد السلام بن عالي : الحداثة وانتقاداتها، نقد الحداثة من منظور إسلامي، دار لويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2007 .

14- محمد سبيلا : الحداثة ما بعد الحداثة، دار تويقال للنشر، المغرب، ط2 ، 2007 .

15- محمد سبيلا : مخاضات الحداثة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط 1، 2007 .

16- محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي – الحداثة – دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط3 ، 2008 .

17 - محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي : الحداثة وانتقاداتها ، نقد الحداثة من منظور عربي إسلامي - دار توبقال للنشر، المغرب ط1 ، 2006.

18- محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط1 ، 1991.

19- محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي : الحداثة في العالم العربي -دراسة نقدية، المجلد الأول، 1414 .

20- محمود نسيم : فجوة الحداثة العربية ، دار الحريري للطباعة، دم، دط .

21- محمد نور الدين آفاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، المغرب ، ط2 1998 .

22- عوض بن محمد القرني :الحداثة في مى ا زن الاسلام، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان ، 1988.

23- فارح مسرحي :الحداثة في فكر محمد آركون، الدار العربية للعلوم، بيروت،) ط1 2006.

24- محمد نورالدين آفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، المغرب ط 2 1998

الموسوعات والمعاجم:

1-أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الثاني، دار عويدات، بيروت ،ط2،2001.

2- مصطفى حسيبه : المعجم الفلسفي - دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن ط1 ،2012.

3- مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة للطباعة، القاهرة ، دط ، 2007 .

4- مصطفى حسيبة : المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1

5- إبن منظور: لسان العرب، مج(2) ، دار الطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، د ط ،1955.

6- جميل صليبا : المعجم الفلسفي، مج(1) ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د ط ، 1982 .

7- شوقي ضيف : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر التحريرية ، ط 4، 2004.

قائمة المجلات والدوريات :

1- عبد السلام بن عبد العالي، الغيرية والآخر، مقولات التحاور وإمكانات اللقاء ضمن ا لة الفلسفية، فضاء

العقل والحرية أيس، دار الصحافة، القبة 2007 ، العدد 2 السداسي الأول .

2- العربي ميلود، تساؤلات في الحداثة، مجلة الكلمة للدراسات والأبحاث، العدد 85 ، السنة الحادية والعشرون، 2014 .

3- عز العرب لحكيم بناني : المعرفة نحو عقلانيات اجرائية ، مجلة عالم الفكر، العدد2 ، مج 4، 2012 .

قائمة الرسائل ومذكرات التخرج :

1- رحمة مادي ، إشكالية التراث والحداثة ،(طه عبد الرحمن ، محمد عابد الجابري، عبد الله العروي) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، حمبلي فاتح، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2017/2016) .

الفهرس :

فهرس الموضوعات		الصفحة
مقدمة	.....	**أ- ب**
الفصل الأول : مـاهية الحداثـــــة وتـاريخـــــها		
المبحث الأول	مفهوم الحداثة وبعض المصطلحات المتعلقة بها	**15-08**
المبحث الثاني	الجذور التاريخية للحداثة	**21-16**
المبحث الثالث	الأسس الفلسفية للحداثــة	**26-22**
الفصــل الثـــــاني : الحداثة عند طه عبد الرحمان		
المبحث الأول	مفهوم الحداثة عند طه عبد الرحمان	**34 -29**
المبحث الثاني	الحداثة بين النقد والتأسيس	**39 -35**
المبحث الثالث	البديل الأخــلاقي للحداثـــة	**50 -40**
الخاتمة	.....	**53 -52**
المصادر والمراجع	.....	**57 -54**
الفهرس		**58**